

الرسالة الخامسة



الرسالة المخلصية

مجلة دينية تاريخية اديبة علمية
تصدر مرة في الشهر ، وستتها عشرة اشهر

ادارتها المركزية : دير المخلص - قرب صيدا (لبنان)

شباط ١٩٥٩

العدد ٢

السنة السادسة والعشرون



الزواج وسببته العصر

اعتاد المسيحيون ان يقبلوا بكثرة على عقد الزواج المقدس في اسابيع المرافع التي تسبق الصوم الكبير واسبوع الفصح المجيد ، اذ لا يجوز في هذه الايام المقدسة ، اجلالاً لها وصورناً لجوها الروحي ، اقامة الاعراس وولائم الافراح الجسدية .

فبهذه المناسبة يسرنا في مطلع هذه « الرسالة » ان نحدث شباب اليوم فتياناً وفتيات عن ذلك الموضوع الخطير الزواج المقدس ، الذي رغب الخبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر في منشوره الشهير « عفة المتزوجين » ، ان يحكي عنه ، ويحاضر فيه غالباً ، لتثقيف المؤمنين ، بقوله : « انه لمن الالهية بكان عظيم ان يثق المؤمنون تثقيفاً حسناً بما يخص الزواج ، إماماً شفاهاً ، واما كتابة . وليس فقط عرضاً ، وسطحياً ، بل غالباً وبتعمق ، عن طريقة البراهين الواضحة والمقنعة ، حتى ان هذه الحقائق تستملك الذهن والعقل ، وتدخل الى اعماق القلوب » .

بعد ان خلق الله جميع الكائنات ، ارضاً وسماءً ، وزين الافلاك
بالكواكب ، واكمل الارض بمباهج الحياة في النبات والحيوان ، « رأى الله
جميع ما صنعه فاذا هو حسن جداً . »

ولكن عندما التفت الى آدم ، ينعم في ارجاء ذلك الفردوس ، وحده
لا شريك له ، رآه « ناقصاً » وغير حسن ! مع انه صنعه على مثاله ! ...
فقال الله : « لا يحسن ان يكون الانسان وحده على الارض ، فاصنع له
عوناً بازائه . فيأتيه بجوآء ، لا من خشن التراب ، ولكن من لحم آدم
وعظمه ، واذا يراها منتصبه امامه بعد غفوته ، ينشد اول نشيد الحب متهللاً
مستأنساً : « هوذا هذه المرة عظم من عظامي ، ولحم من لحمي . »

وضمن ذلك الاطار الشعري الجميل ، في الفردوس الاخضر والزهري والطبيعة
في بهجة الجديد ، ترتفع بين الله للبركة ، لبركة اول زواج رجل بامرأة ،
وصوته الابوي يدوي في اذنيهما ، امرأ عذباً ، وشريعة مقدسة الى ذريتهما
الى الابد : « انموا واكثروا واملأوا الارض واستولوا عليها . » هذه اول
بركة السماء ، كما انها اول شريعة للانسان .

ومن ذلك الحين انشئ الزواج ، وتأسست العائلة ، واصبح اقتران الرجل
والمرأة شريعة طبيعية لنمو الجنس البشري ، كما قال الكتاب المقدس :
« ذكراً وانثى خلقهم الله ! »

ولكي تبلغ هذه الشريعة غايتها حتماً في اكثار النسل ، وحفظ الجنس
من الفناء ، اوجدها في قلبه غريزة طبيعية قوية ، كما اوجد غريزة الطعام
لنمو الجسم وحفظ الحياة الشخصية . فعندما يبلغ الانسان دور المراهقة اي
السن الخامسة عشرة ، توقظه الغريزة الجنسية ، فيفيق من سبات الطفولة ،
كما افاق آدم ، ويرى الفتاة الى جانبه ، فيدرك انها خلقت له في هذه الحياة
لتكون له عوناً ، وانه خلق لها ليكون سيدها وسندها . وهذا الجاذب
السري ، او الميل الفطري ، بين الرجل والمرأة ، ندعوه عموماً « الحب
الجنسي » ، وجميع الناس يحيون به ، دون استثناء ، يغمرهم فيضه مهما ارتفعوا
ويرافقهم اينما ذهبوا ، فهو بذرة في الدم ، وجراثومة في الهواء ، لا يهلكها
غير الموت !

غير ان هذا الحب الذي جاد به الله على البشر بسخاء ، وجعله في

قلوبهم ميلاً أشد من الموت ، على قول الكتاب المنزل ، اوجده في الحيوان الذي لا عقل له ، خاضعاً للعريضة الطبيعية ، يشعر بها في بعض فصول وشهور ، كموجة عابرة ، ثم لا يلبث ان يعود الى سابق حاله . واما الانسان العاقل الذي خلق على صورة الله ، حرّاً في تصرفه ، مفكراً ، ومميزاً الخير ، ومتبصراً في عواقب الشر ، فقد اخضع ميل قلبه لسلطان عقله . وكما ان الله سلّطه على الطبيعة جمعاء ، وجعل شرائعها بين يديه ، يديرها كيف شاء ، جعله ايضاً سيد قلبه واهوائه ، سيد هذا الميل الفطري ، حتى اذا عرف ان يتدبره بعقله ، ويستغل قوته حسب الغاية المنشودة ، استفاد منه ، كقوة الكهرباء يديرها مهندس حكيم او كالنهر العظيم هو ثروة وخصب لمن يقيم له اقنية وسدوداً ويسيطر على مجراه .

ان هذا الحب الجنسي الفطري في الانسان ، كسائر اهواء الانسان ، ليس هو عاطلاً او رديئاً بحدّ ذاته ، لانه من خلق الله الحكيم ، ولا شيء مما خلق الله يمكن ان يقال عنه انه دنس او نجس ، لان الله حسن وكمال ، وما يفيض عن الجمال فهو جميل .

ولكن الانسان هو وحده يستطيع ان يجعل الخير شراً ، حسب الغاية التي يتوخاها . فهذا الميل الغريزي الذي هو قوة عظيمة للخلود والهناء ، يصبح لمن لا يتسلط عليه شراً وببلاً ، يدفعه الى مهاوي التهلكة والعار ، حسب قول ابن سينا : « من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب شهوته على عقله فهو شر من البهائم » .

ولذا فقد اوجد الله تعالى قيوداً لهذا الحب الجنسي ، وشرائع احترامتها جميع الملل والاديان . وعندنا نحن المسيحيين ، اراد المشرع الاكبر سيدنا يسوع المسيح ، ان يصلح الفساد ، ويقوّم الاخلاق ، فقيّد الرجل بامرأة واحدة كل الحياة كأنما جسم واحد ، لا يتجزأ ، ومن هذا الاقتران تصبح المرأة حقاً عوناً للرجل ، ويتكاثر النسل ، كما شاء الله عند خلقه البشر : ذكراً وانثى خلقهم ، وما جمعه الله فلا يفرقه انسان .

فالزواج اذن هو الغاية المقصودة من هذا الميل الجنسي الذي فطر عليه الناس ، وهو عقد مبرم بين اثنين ، رجل وامرأة ، حسب الشرائع الطبيعية والروحية ، وبوجب هذا العقد يخولان بعضهما بعضاً حقاً حصرياً فيهما ، دون

سواهما ، وغير قابل للنقض ، هو حق العيشة الزوجية ، على ما هو معروف ، قصد انماء النسل وحفظ الجنس بولادة البنين . لان العيشة الزوجية هي وحدها تضمن بنوع اكيد وثابت ارادة الله في نحو الجنس البشري وحفظه ، وشرائع الزواج الدينية على الاقل تنبثق كلها عن هذه الغاية لتحقيقها بالوجه الاكمل لصالح الولد ، لان الولد هو الغاية الاساسية في الزواج ، ولسبب الولد تأسست العائلة التي تضمن له اولاً الوجود ، ثم النمو الجسمي والعقلي ، والادبي ، والروحي ، الى ان يصبح قادراً ان يقوم بدوره برسالته الانسانية بنوع لائق في هذا الحياة ، نظير والديه ، لان الانسان عكس الحيوانات يقتضي له سنوات طويلة حتى يكتمل نمو عقله وجسمه ، ويصير قادراً للقيام بشؤونه الخاصة ودخول معترك الحياة .

واما الحب الحر ، اي عدم التقيد بامرأة بزواج شرعي ، الحب الذي تلعب فيه الغرائز السافلة الدور الاول ، بل الوحيد ، فهو اثانية مقبته ، لا حب ؛ هو صداً الحب لا جوهره ، هو غش الحب لا صدقه ، هو انحراف عن الغاية التي شاءها الله من هذه الميول الطبيعية في الانسان ، هو هرب من المسؤولية ، وجبانة امام التضحية ، وخيانة للواجب ، بل هو مرض خلقي يفتك بالاخلاق السليمة كلها ، وبالاخص بطيبة القلب ، والصدق ، والمروءة ، والعدل ، والتفاؤل في الحياة ، بل الصحة ايضاً . هو تلاشي الحياة لغير حياة ، هو امتهان لكرامة الشخصية في شخص الحب والمحبوب ، وانتهاك لاقدس شرائع الله والناس .

بينما الزواج ، هو وثبة النفس الابية نحو آفاق الحياة ، هو ثورة على الموت ، وانتصار على الفناء ، هو خصب الحياة وخلود الوجود بالنسل في التلاشي ، على مثال حبة الخنطة التي تتلاشى عندما تقترن بالارض ، تحت التراب ، لتجد حياة اكمل واخصب . - الزواج مدرسة تهذيبية وتكميلية ! الرجل يكتسب من امرأته ، على ما قرر علماء النفس ، ما لا يجده في عشرة اي رجل مهما كان حكيماً ، وعالمياً ، وعظيماً . يكتسب منها ما هو موفور لديها خصيصاً : اي رقة العاطفة ، والشعور المرهف ، والادراك البدهي ، والعبادة والتقوى ، والتضحية ، لان الرجل يبقى قلبه خشناً وقاسياً ، واثانياً اذا لم تهذبه المرأة بلطفها ، ورقة عاطفتها ، وتضحيتها وتفانيها . واذا رأيت

من الكهول العزاب من لان طبعه ، ورق قلبه ، فيكون ذلك عن فطرة طبيعية او حسن التربية والتهذيب الشخصي . قال احد الكتاب : « من يوم بدأت احب امرأتي بزواجي منها وجدت الطبيعة اجمل ، والحياة افضل ، وازداد قلبي رقة وتحناناً ، فبدأت احب الاولاد ، واعطف على الفقراء ، واخدم من يلتجئ الي » - كما ان المرأة تكتسب من رجلها ما لا تجده في اية امرأة مهما سما فضلها : مثل الاتزان ، والتأني ، وبعد النظر في الامور ، وعدم سرعة الانفعال . الزواج يعلم دروس الرجولية ، والجد في الحياة ، والشعور بالمسؤولية ويقوي ضمير الواجب ، ويعلم الاعتماد على النفس ، والثقة بالله ، والتدين الحقيقي ، واحترام الشخصية . لان الزواج ، وان كان يجعل الاثنين واحداً ، الا انه يحفظ لكل من الزوجين طبعه الشخصي الذي ورثه من والديه ونشأ عليه . وهذه الصفات متى توفرت زادت الانسان عافية ونشاطاً . والسيد المسيح رفع الزواج الى كرامة القديسات ، فجعله سراً من اسرار النعمة والتقديس ، كما كرمته الحكومات فسنت له الشرائع ، وصانته بسياج الهيبة والاحترام . بل جميع الناس عامة يكرمونه ، ويقيّمون له الولايم والحفلات ، وهو اغلى امنية يعبرون عنها جواباً لمعروف ، وفي التهاني ، فيقولون : « عسانا نفرح منك - فرحتك » - نعم ، وهو حقاً الفرحة الكبرى ، لان الانسان يكمل في الزواج ، ويتمم اقدس غايات الله .

لا ينكر ان حالة التبتل او العزوبة التي يفرضها بعض الناس على نفوسهم بغية لكمال اسمى وخير اعم ، تفضّل الزواج . وان نذر العفة الذي يتقيد به جماعة الرهبان والراهبات والكهنة ، انما غايته التحرر من قيود المادة والهرب من المهام الزوجية ، ليس عن انانية بغية ، او جبانة او خوف من مسؤوليات الزواج ، وانما لينصرف الانسان بكامله لخدمة الله ، والقريب والوطن ، لان الاختبار يدل ان غير المتزوجين لديهم الوقت الكافي والحرية التامة ، والاستعداد الدائم للقيام بأية خدمة ، ومشروع وتضحية . ولذلك قيل : « ان العائلة تخلص بواسطة المتبتلين » . وانه لياخذنا العجب اذا نظرنا الى ما يقوم به المتبتلون من خدم وتضحيات في سبيل الانسانية والوطن والدين في اكناف تلك المباني ، مباني الحبة ، من ملاجئ ، ومستشفيات ومدارس ، وكنائس ، ومعاهد علم ، واختراعات ...

وسوى ذلك من الناس فليس لهم الا اتباع كلمة الرسول : « لتكن لكل رجل امرأته . احب ان الفتيات يتزوجن ويلدن البنين » .

ولكن لماذا يعرض فتياننا عن الزواج ؟ لماذا هذه الازمة التي تهدد كيان بعض الطوائف والعائلات في بلادنا ، ولاسيما في الطبقة « البرجوازية » ؟ ان ٥٠ بالمئة من شباننا في المدن ناهزوا الاربعين ، ولا يزالون عزاباً .

السبب الاول هو الاباحية المنكورة : وهذا مرض نفسي مصاب به كثير من شباننا اليوم ، ولاسيما الطبقة الغنية وفوق المتوسطة .

ان هذا العصر ، هو عصر الحرية . لقد هدم حواجز المنازل ، وقطع قيود المرأة بالبيت ، وأخرجها حرة طليقة الى الشوارع والمكاتب ، بل افسح لها شواطئ البحار فخلعت عنها ثوب الحياء والحشمة ؛ وعصر النور أعلاها المسارح والملاهي وعرضها ، دون ما حياء ، متعة واثارة .

وبسبب هذه الحرية ، سهل ارتياد الشر ، واصبحت الفتيات ، بسبب شكوك السينما وكتب الخلاعة ، ونقص التهذيب في المدرسة والعائلة ، كاشجار دائية القطوف - او ككرمة دون سياج ، قريبات المتناول لكل راغب ! ازاء هذا الوضع يفضل الشاب ان لا يتقيد بالزواج تجنباً لمناعبه ، فيطوي السنين ، ولا يبلغ حد الاربعين والخمسين ، الا ويكون قد اذابته العلة ، وامتصت منه دم الحياة ، ونضارة الشباب .

والاباحية في الفتاة سبب ثان لعدم زواجها : لا نقصد بهذا ان تعود الفتاة الى سابق العصور ، حيث كانت ساذجة ، جاهلة ، محجوراً عليها ، الى حد انهم اذا ارادوا مدح فتاة قالوا عنها مقتخرين : « لها فم يأكل ، وليس لها فم يتكلم . لا تخرج من البيت والمطبخ ، ولا تعرف شيئاً من الدنيا ! » . ان فتاة العصر مطالبة بواجبات لم تطالب بها امهاتهن من قبل ، فلكل عصر جيله ، والمرء يجب ان يتطور بتكيف الزمان ، وما اصدق هذا القول : « الانسان ابن يومه وزمانه » .

نريد فتياتنا اليوم ان يكون هن لسان ينطق ، بل ان يحسن الحديث في المجالس ويقفن على المنابر ؛ لا بد لفتاة اليوم ان تكون الى جانب الفتى في كل نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية ، وميادين الارتفاق . يريدنا العصر ان تكون نوراً - والنور لا يخفى تحت المكيال ، بل هو للهداية -

يريدها في حركة دائمة تؤدي رسالتها العظيمة ، « حتى يبقى العالم مديناً لها بتعاليم الشرف وسمو الاخلاق والتمدن الحقيقي » ، كما قال عنها فولتير . وقد قال عنها ايضاً غلادستون ، مصلح ارلندا الشهير : « ان المرأة بطبيعتها رسالتها هي اعظم مخلوق لو عرفت حقاً قدر نفسها » . ولكن لانريد ان تكون رسول الشيطان بجريتها الزائدة وتصرفها الاثيم !

يعتقد كثيرون ان الفتاة تغري الشاب بزواجه منها ، اذا بالغت في زينتها ، وتجنبت اشغالها البيتية ، وظهرت حرة في زيارتها بلا مراقبة من اهلها ، ساعة وراء الملاهي والمراقص ، متنقلة من اجتماع الى اجتماع وفي كل مكان ، يشجعها على ذلك ما تجده من ارتياح الشبان لمعاشرتها والاستئناس بها ، وما تسمعه من مديح وثناء او وعد بالزواج ...

ولكن ألا تدري هذه الفتاة المغرورة ان الشبان يفعلون ذلك تسلياً ومداعبة ، وقضاء لساعات الفراغ ، وما المديح الا طعم في سنارة ، واغراء ! والوعد بالزواج ثرثرة في نشوة الخمر والكحول وسكرة الحواس ؟ !

نتحقق ذلك بما نسمعه من مثل هؤلاء الشبان عند سؤالنا لهم : لماذا لا تتزوج بفلانة ما دمت تعاشرها ؟ فيجيب : اني لا اطمئن لها ، انها صالحة للتسلي ولكن لا لادارة البيوت . اريد فتاة بكرراً ، رصينة ، غير مشبوهة بعشرتها . وقد يكون السبب في حرية الفتيات الاثيمة ، المحيط العائلي او البيت الذي تعيش فيه . فهي اما ان ترى والديها في نزاع او خصام دائم ، واما ان تراهما خارج البيت يسرحان ويمرحان ، على هواهما ، تاركين الاولاد وشؤون البيت للخادمة . او انها لا ترى منهما ومن اخوتها ذلك العطف والعناية والمحبة التي يجب ان تلاقها ، ولا سيما عندما تبلغ دور المراهقة ، وتصبح مرهفة الحس ، سريعة التأثر ، كثيرة الشعور . فالأب يأتي من شغله عابساً ، متأفقاً منزوياً الى كتابه ، او جرائده ، واخوتها كذلك تراهم انايين لا يفكرون الا برفاهيتهم ، ومنفعتهم ، فلا يقدرون لها تعباً ، ولا يظهرون لها ثقة ، وكأنهم ينجلون منها ، فلا يأخذونها لنزهة ولا يطلعونها على مشروع ، او خبر ، ولا ترى منهم اقل مكافأة ، او اذا اعطوها فبالف منة ، وتضجر . فمثل هذا الجو يصبح البيت للفتاة سجنًا باردًا ، بل جحيمًا يعذبها قد لا تطيقه ، فتخرج لتتخلص ، فاذا هي فريسة وضحية ...

والسبب الثالث والاهم في ازمة الزواج ، هو الضائقة الاقتصادية ، اي عدم توفر المال : وهذا هو حجة الشبان والفتيات والاهل على عدم زواجهم . فاذا كملت شاباً في مدينة ما ، عن زواجه ، اجابك فوراً ، ليس عندي مال ، لا اتزوج إلا متى استقرت اموري ، وتوفر عندي ريع يدر عليّ مالاً وفيراً ، لاستطيع ان اقوم بواجب عائلتي . واذا قصدت شاباً من اسرة شريفة ، او موظفاً وعنده معاش يكفي لان يعيش عيشاً لائقاً ويفتح بيتاً ، وكلمته عن امر زواجه ، شكاً لك قلة المال . واذا تميت له فتاة اديبة هذه او تلك ، نظر اليك من طرف خفي ، واسار بلفظة يد خفية : « ما بانثتها ؟ ... » .

وكذلك الفتاة وان تكن اجمالاً اقل طمعاً من الشاب ، الا انها لا ترغب في الموظف البسيط ؛ وان هي رضيت ، فاهلها يمانعون ، ويريدون شاباً غنياً ، ليضمنوا الحياة المترفة لابنتهم ...

وهكذا يظل الشاب يراقب الفتاة الغنية ، او تحسين الحالة ، والفتاة الغنية لا ترضى به ، لانها تطمع بأحسن ، والاحسن لا يأتي ، او هو ينتظر احسن الاحسن ، وهكذا يقضي الشاب والفتاة اثنى سني شبابهما ، ينتظران تلك السعادة الموهومة ، فيتجاوزان سن الزواج ، ويخسران المال والبنين معاً ويندمان على الفرصة التي افلقت من ايديهما ...

نعم قد يحول الفقر المدقع الشديد دون زواج الشاب ، والعقل السليم يستنكر زواج الذين يكادون يحصلون على قوتهم اليومي ، لان زواج هؤلاء قد يكون جنابة على الاولاد ، وعالة على المجتمع ، لان المقصود في الزواج ليس فقط ولادة البنين ، ودميهم في الشارع ، او ايداعهم احد الملاجئ ، بل ايضاً تربية البنين ، تلك التربية الصالحة التي تكفل لهم النجاح في الحياة ، والعيشة اللائقة بكرامة الانسان ، والاخلاق الرضية ، والآداب السليمة .

وقد تكون هنالك ظروف عائلية جوهرية تحتم على الشاب ان يكرس حياته مؤقتاً او ابدآ لخدمة اهله او اخوته العاجزين ، او المعرضين لخطر الاهمال ، وهذا قد يكون واجباً اديبياً مفروضاً على الاولاد والاخوة ، على نسبة الخير المرجو من هذه التضحية .

ولا ينكر ايضاً ان الفتاة يمكن ان تساعد الشاب لتهيئة البيت الزوجي

بما تحصله من حقها في مال والديها ، لان الزواج يجعل كل شيء مشتركاً ، ومصحة الزوجة هي بالزواج مصحة الزوج . والواجب يقضي على الوالدين ان يساعدا ابنتهما ، ما امكنهما ، ويعطيها كامل حقوقها .

ولكن هل نوافق شباننا فيما يذهبون اليه من عدم توفر المال لديهم ؟ اذا نظرنا الى حالة شباننا عموماً ، لا نجد حقاً كثيرين منهم في ظروف اقتصادية صعبة ، تحول دون زواجهم . فمنهم اطباء ، ومحامون ، وتجار ، وموظفون ... باستطاعتهم ان ينشئوا لنفوسهم عائلة ، ومع ذلك فنسبة غير المتزوجين منهم والذين بلغوا السن الاربعين وبخاصة المسيحيين في المدن هي ٦٠ بالمئة . واما الشبان العاديين ، العاملون في شركة او تجارة ، والموظفون « البسيطون » نراهم يصرفون المال ، دون حساب ، في السينما ، وسباق الخيل ، والتدخين واسباب اللهو الباطل ... واما لزواجهم فيشكون من الضائقة المالية . فما سبب شكوى شباننا من عدم المال الميسور للزواج ؟

السبب الاول هو الطمع : يريد الشاب ان يعيش في زواجه عيشة « مادية » سعيدة ، على اكمل وجه ، بحيث لا يفوته حظ شهوي من اطيب هذه الدنيا . وينسى مثل هذا الشاب « ان الزواج ، كما يقول پول كلوديل ، ليس هو لذة في الحياة ، وانما هو تضحية اللذة في سبيل الحياة » - ان الزواج المقدس هو شرف سام رفيع ، وبالتالي ، فحسب قول الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
ان الشاب والفتاة بزواجهما يشاركان الله في الخلق ، لولادة البنين ، وقد أجمع علماء الفلسفة واللاهوت ان الخلق غاية ما تستطيعه قدرته الالهية وهو منفرد بهذه الخاصية دون سواه ، لا يستطيع ان يهبها مخلوق . فكما يشاركان الله في الخلق ، يجب ان يشاركا المسيح بالفداء ، اي بالكد ، والوجع ، وتحمل بعض التضحيات التي تفرضها الحالة الزوجية . ما عدا ان حياة المسيحي يجب ان يهيمن عليها بعض التقشف الانجيلي ، وحرمان بعض اطيب هذه الحياة ... حسب قول السيد المسيح : « ليست حياة الانسان في كثرة ماله ! »

وحقاً ان المال ليس هو كل شيء . بل هنالك ما هو أغلى بكثير ، هنالك : المرأة ذات الصون والعفاف والنباهة . حسب قول الكتاب المقدس :

« المرأة الفاضلة ... ان قيمتها فوق الآلىء » - والاولاد الصالحون ، أليسوا هم خير ما يرزق الله مخلوقاً ! ... اليس الابناء نشيد الوالدين الرائع ، ولحن خلودهم ، امام قوافل الزمان ، ومواكب الاجيال ؟ .. فضلاً عما يجده المتزوج من نظام في معيشته ، وعناية من امراته ، وطمانينة في عجزه .

وهل صحيح يا ترى ، ان عدم الزواج مجلبة للغنى وحسن الحال ، ام بالعكس سبب للفقر وسوء العاقبة ؟ ان المتزوج ذا الاولاد ، رغم ضيق يده ، يظل عادة احسن حالاً ، مادياً ومعنوياً واجتماعياً واخلاقياً ، من اخيه الاعزب الكهل ؛ فمستقبله مضمون باولاده عكاز شيخوخته . بينما الاعزب هو معرض للإهمال في سن الشيخوخة ، وعند الموت يتحرق ان يرى ثروته تذهب الى غير ما يجب . ولكم سمعنا سمع الاذن ، ورأينا رأي العين كهولاً وعزاباً ندموا اشد الندم على عدم زواجهم ، اذ رأوا تحمّ خدامهم او انسابهم بهم ، وانتظارهم بفارغ الصبر قرب نهايتهم ليتقاسموا الميراث من مال واثاث . ولكم رددوا وهم على فراش الاحتضار قول الفريد دي موسى : « لقد فقدت قوتي ، وفجعت في صداقتي ومرححي ، وسلبت حتى افتخاري بنبوغي » .

والسبب الثاني لشكوى شباننا من الحالة المالية ، هو حب المساواة ، او التقليد عن غرور باطل ، وهذا مرضنا بالاختصاص نحن الشرقيين . ان الشاب العادي ، الذي يكون عاشر رفيقه الغني ، ودرس معه جنباً الى جنب ، ولربما فاقه ذكاء ، يرى من الغضاضة ان يكون دون رفيق صباه لبساً واثاثاً ووجاهة ، فلا يتزوج الى ان يستطيع ان يفرش بيتاً مثله ، ويقيم عرساً حافلاً كما اقام ...

انه لتفكير عقيم ، وتقليد بليد ! لانه يجب ان يكون في شباننا اليوم شجاعة ادبية ، لكي يقبلوا الحالة التي وضعتهم فيها الظروف . ويأخذوا بحسب حكمة المثل : « على قدر بساطك مد رجليك » . وان الرجل الرجل هو الذي يعتمد على نفسه في كسب رزقه ، اذ اي فخر له بمال يرثه عن والده ، او يأخذه من عروسه ؟ ...

ان الفقر هو مطية العظمة والعبقرية ، وان البيوت الفقيرة كانت ابدأ منابت الرجال العظام . فكم عالم وسياسي ، ورجل دين وحرب ، ومصلح ،

وقديس ، انبته البيوت الفقيرة ، كنبليون ، واديسون ، الذي كان بائع صجف في السكك الحديدية حتى السنة الخامسة عشرة ، والبابا القديس بيوس العاشر الذي كان يأتي المدرسة حافي القدمين ، وشكسبير ، وكثير من الزعماء وقادة البلاد في عصرنا الحاضر ، هؤلاء وسواهم من رجال الدين والدنيا والقلم ، كانوا من اسر وضيعة .

ولماذا لا يؤمن شباننا بالتطور الاجتماعي ، اي تحسين مادياتهم بعد زواجهم ؟ ان العائلات الغنية اليوم كانت بالامس فقيرة . والاولاد لا بد يوماً ان يصلوا الى نعمة وبجبوحة اذا ثابروا على العمل واستمروا في طرق الصلاح . ان تهافت شباننا على المال في امر زواجهم ، على النحو الذي نراه في كثيرين منهم ، يجعل الزواج تجارة بخسة بأقدس واهم القيم الادبية . فهو احتقار لكرامة الشاب نفسه وشخصيته . لانه بالحاجة في طلب البائنة لا يُظهر شهامة وعزة نفس بل يدل على عجز في التحصيل ، وعلى عدم الثقة بالذات . كما انه هو احتقار للفتاة ، لانها تفكر في نفسها : « أنه لولا مالي لما رضيت زوجة . لقد احب المال قبل الاخلاق » فينشأ عندها شيء من النقمة وبغض خفي لزوجها . وكثيراً ما ينشأ الحُصام وتفكك العائلة بسبب المال . ولقد جاء في الامثال اليابانية : من تزوج طمعاً بالمال ، كان زواجه وبالاً عليه .

والسبب الرابع لازمة الزواج سوء حال الاسرة : مما يباعد شباننا اليوم عن الزواج ، ما يشاهدونه عند المتزوجين ، من تنافر وخصام وعدم وفاء ... ولكم ردّدوا ازاء حوادث عائلية مؤسفة ، هذا القول : اذا كانت هذه حال الرجل مع امرأته فخير له ان لا يتزوج ! ...

واعتقد ان تفكك الاسرة وامثلة الشك التي نراها بكثرة في هذه الايام ، ترجع الى الرجل وحده في الغالب . فهو إما ان يكون اختارها فقط لما لها ولم يفحص الا سطحياً عن اخلاقها ، واما لانه اختارها عن عاطفة صيبانية غير رصينة ، ولأول هوى الفؤاد ، او لانه يكون قد افسدها بسوء تصرفه ، وبانحرافه عنها ، وعدم محبته لها . وما احسن قول الشاعر بالمرأة :

انما المرأة مرآة^١ بها كل ما تنظره منك ولكل
فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك .

واظن ان الشاب تلافياً لشُرور كثيرة يحسن ان لا يختار عروسه الا بعد بلوغه السن الخامسة والعشرين ، لانه في هذه السن تكون قد خفت نزوة الشباب ، وبدأ طالب الزواج يبحث على نور العقل وصفاء الذهن عن شريكة حياته التي تلائم مزاجه .

كيف تعالج ازمة الزواج عند المسيحيين ؟

من الناحية المادية : الى ان يتسنى لحكوماتنا ان تضع تحسیناً لحالة العائلة ، كما هي الحال عند بعض الدول الغربية الراقية ، نظن ان افضل وسيلة هي :

١ - امداد الجمعيات الخيرية التي ترمي الى اسعاف العيال الفقيرة ، وتجهيز البنات . لان هذه الجمعيات اذا توفر معها المال قامت باعانة العيال المنكوبة ، وتعليم الاولاد الفقراء ، وتطبيبهم مجاناً ، وبالجمله هذه الجمعيات تؤلف شبه ضمان اجتماعي بين المسيحيين ، يشجع الشبان على الزواج ، ويؤمنون العيشة اللائقة ، فيما لو تطورت حالتهم ، ونكحوا ... وهذه الجمعيات هي متوفرة عندنا ، ولكن يجب تعزيزها حتى تتوسع مساعداتها المالية ...

٢ - الاقتصاد في المصروف : المصروف شيء مطاط ، يمكن الانسان ان يصرف الدينار في اليوم كما يصرف العشرة والعشرين ، وان تكاليف الحياة العصرية وبملقات الملابس والمأكول والملاهي وغير ذلك ، زادت النفقات . فيجب اذن على الشبان والفتيات ان يضحوا بالامور الزائدة التي يستغنى عنها بسهولة ، واضعين حداً لاطماعتهم ، بل ان يمتنعوا عن امور لا فائدة منها غير الضرر الصحي ، وانفاق المال ، كالتدخين ، وشرب المسكر ، والقمار ، وان يقللوا من غيرها ، كالتردد الى الملاهي ودور السينما وخلاف ذلك .

من الناحية التربوية :

١ - بتفهم معنى الزواج من حيث القيم المعنوية والاخلاقية والروحية والزمنية والاجتماعية ، كما اراد الخبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر ، حتى اذا رسخت هذه المعاني في الذهن ، لا يتردد شباننا ان يتدبروا امورهم بالحزم والعزم ، ويغتنموا اقلّ واول فرصة للكسب والتحصيل ، دون اي

اعتبار بشري ، لنوع الشغل ، لان الشغل كله مقدس وشريف ، او يكونوا مستعدين لان يضحوا بما هو اقل قيمة وشأناً في هذه الحياة ، في سبيل الزواج الذي يعتبرونه نعمة عظيمة ، وغاية نبيلة ، ورسالة محتمة عليهم للدين والمجتمع !

٢ - بتجهيز النشاء منذ الصغر للحياة الجدية ، بتعويدهم بعض التضحيات ، وعدم تلبية كل رغائبهم ، ولو كان اهلهم في نعمة ، وخصوصاً بيت الروح المسيحية الحقيقية التي من طبعها ان تعد الشاب لمواجهة مشاكل الحياة ، كيفما تقلبت ، بما تطبعه فيه من قوة الارادة ، والثقة بالله التقدير ، ابي الجمع ، الذي يعطي طيور السماء غذاءها ، ويلبس زنايق الحقل حللها ، فبالاحرى الانسان الذي خلق على صورة الله .

٣ - باعطائهم صورة حية عن حياتهم في المستقبل ، وتجهيزهم الحياة الزوجية ، وذلك بواسطة ما يشاهدونه من المثل العليا في حياة والديهم ، في البيت وخارجه ، كالاتفاق ، والتضحية ، والاكرام ، والصبر على المكاره ، والتفاؤل في الحياة ، والثقة بالله .

يا ايها الشبان ، اخواني الاحباء !

عليكم رسالة سامية تؤدونها لله والمجتمع ، فأما ان تكون رسالتكم اسمى من الزواج ، وذلك بتكريس ذواتكم وجهودكم لخدمة المصلحة العامة واعمال البر والخير ، والمؤسسات الدينية ، واما ان تقوموا برسالة الزواج ، كما اراد الله بوصيته لكم : « انموا واكثروا واملأوا الارض ... » .

الاب بطرس حداد

مدير « الرسالة المخلصية »

المجوس

تباع زراوسترا

وانتظارهم للمسيح^(١)

يتفرد الإنجيلي متى ، بذكر زيارة المجوس ليسوع مولود بيت لحم الالهى ، فيقول : « لما ولد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك ، اذا مجوس قد اقبلوا من المشرق الى اورشليم قائلين : « اين المولود ملك اليهود ؟ اننا رأينا نجمة في المشرق ، فوافينا لنسجد له » (متى ٢ : ١ - ٢) . ولكن ، من هم هؤلاء المجوس ؟ ما اصلهم وما ديانتهم ؟ وكيف عرفوا من النجم الظاهر لهم ، ان المسيح ولد في بيت لحم ، فعليهم ان يزوروه ويقدموا له الهدايا ؟ - وها نحن نحاول في هذا المقال الموجز ، ان نجيب على هذه الاسئلة ، وان نسلط بعض الاضواء ، على زراوسترا ابي المجوس ، وعلى عقيدته الدينية المودعة في « الافستا » ، دارسين نبوءته المزعومة عن « المخلص الآتي » ، وباسطين آراء بعض الكتبة الكفسيين القدماء ، في هذا الصدد .

زراوسترا ابو المجوس .

ان « ماجوس » هي كلمة فارسية ، تشتق من « ماجا » ، ومعناها العطية . فالماجوس هو المشترك في العطية . والعطية ، في الكتب الدينية الايرانية ، تشير الى عقيدة زراوسترا ، فالمجوس هم تباع زراوسترا وتلامذته ،

(١) مصادر المقال :

- (1) Messina, Una presunta profezia di Zorcastro sulla venuta del Messia, Biblica, 1933, P. 170 — 198.
- (2) Ricciotti, Vita di Gesu Cristo, P. 286 ss.
- (3) Lagrange, La Réforme de Zoroastre et le Judaisme, R. B. 1904. P. 27 — 55.
- (4) Lesêtre, Mages, D. B. I, col. 543 — 552.
- (5) Harlez, La Bible et l'Avesta, R. B. 1896. P. 167 — 172.

وقد استودعهم عقيدته ، ليكونوا حرسه امانة لها ، وينقلوها للذراري الآتية . وهذا ما يؤيده الكتبة اليونان القدماء ، مثل كسانتس وارمدور واريستو ، فيسمون المجوس تباع زراوسترا ، كما انهم يحلون عقيدتهم الدينية . والبون شاسع بين هؤلاء المجوس الايرانيين ، المختصين بالديانة والعبادة ، وبين المجوس البابليين والمصريين المتعاطين السحر والعرافة . وقد لعب المجوس دورا هاما في الامة الفارسية ، فكان لهم اليد الطولى والنفوذ الكبير في ادارة شؤون الامة ، كما انهم شغلوا الوظائف العليى في المملكة .

اما زراوسترا ، او زراتوسترا ، او زرادوست ، فهو نبي المجوس الملمهم ، ومعلمهم الاكبر . الا ان غموضاً كبيراً يغطي على شخصيته ، ومنشأه ، وتاريخ حياته . فحسب التقليد الايراني ، عاش زراوسترا من سنة ٦٦٠ - ٥٨٣ ق . م . ، في ولاية الملك ايستاسب ، ابي داريوس الاول . وقد ولد في ضواحي طهران ، وعندما بلغ الثلاثين من العمر ، هبط عليه الوحي من العلاء ، وتسلم عقيدة دينية وشريعة اديبة جديدة ليعلمها للناس . وقد هاجمه ابليس بتجارب عنيفة ، كما انه كان عرضة للعداء والاضطهاد ، مع تباعه الكثيرين الذين ردهم الى الايمان . وقد اشتهر زراوسترا بشديد تقواه ، وجزيل بره ، ودفاعه عن الفقير والمظلوم . وكان يعلم ان العدالة مفقودة في هذا العالم ، ولن تسود الا في العالم الثاني ، حيث يجازى الصديق عما تحمله من العسف والجور على هذه الارض . والانسان حالما يموت ، يمثل امام منبر الديان العادل ليحاكم عن اعماله : فالصديق يدخل حالاً الفردوس ، حيث يتنعم قرب الاله اهورا - مازدا ، فيما الخاطيء يهوي الى مسكن روح الشر والكذب . ويتبع هذه الدينونة الخاصة دينونة عامة ، تتحقق فيها العدالة التامة بين الناس . ويعلم زراوسترا ان جهنم مقر الاشرار ليست ابدية ، فبعد العذاب والتكفير ، سيقوم الناس كلهم من القبور في حال الظهارة التامة ، فيحيون معاً الى زمن لا انتهاء له .

وقد نعم زراوسترا باكرام اعلام وفلاسفة العصور القديمة ، من مختلف البلدان والاديان . فنسمع كتبة اليونان واللاتين يستشهدون باقواله ، ويعزو له بعضهم كتابة مثنى الف من الاسفار الدينية . اما كتبة اليهود والمسيحيين فراحوا يقابلون بين عقيدته ، وبين نبوءات العهد القديم . فيرون فيه شيئاً

احد ابناء آدم ، او حزقيال ، او باروك تلميذ ارميا ، او احد تلامذة ايليا . ولم يحظ زراوسترا بهذه المنزلة الفريدة ، الا لانه مؤلف « الافستا » .

الافستا

واليك بعض معلومات مقتضبة عن الافستا . و « افستا » كلمة فارسية ، تعني « نص الشريعة » ، وتشير الى الكتاب الديني المقدس لمذهب زراوسترا وللعقيدة الايرانية . وفي نشأتها ، كانت الافستا تولف من واحد وعشرين كتاباً ، لم يصلنا منها سوى الثلث فقط . كما انها لم تكتب في عصر واحد ، وانما تتوزع على عصور متعددة ، ربما يرجع اقدمها الى القرن السابع قبل المسيح . وحتى القرن الثامن عشر ، بقيت الافستا سرّاً غامضاً يرجع الفضل في كشفه للمستشرق الفرنسي انكيتيل ديبرون (Anquetil Duperron) وقد سافر الى الهند وتعرض لاطار حمة قبل ان يحصل على نصوص منها . الا ان هنالك مخطوطاً سريانيا ، يؤكد ان الافستا لم تكتب قبل القرن السادس ب. م . وكان يحفظها كهنة المجوس على ظهور قلوبهم ، ويتناقضونها شفهاً في المدارس ، الى ان انتشر دين الاسلام ، وهدد بخرق الدين الفارسي ، فقام حاكم ذكي في آخر ولاية الملوك الساسانيين (٢٢٦ - ٦٥٢ ب. م .) وجمع كهنة المجوس من اطراف البلاد ، وطلب الى كل منهم ان يتلو ما يعرفه من التقاليد والروايات المنسوبة الى زراوسترا ، وراح يجمعها كلها في كتاب واحد سماه الافستا .

ودأب الاسلام على تأمين السلام « لاصحاب الكتاب » اي لمن يتبعون كتباً دينية موحاة . فراح تباع زراوسترا يقابلون بين كتبهم واسفار العهد القديم ، وادعوا ان زراوسترا هو ابراهيم ابو الاباء ، وان الافستا هي « الصحف » التي يعلم الاسلام بوحياها لابرهم . وقد قبل العرب بهذا التقارب بين زراوسترا وابرهم ، حسب شهادة الطبري ، كما انهم عدوا الافستا واحدة من الايجآت الخمس : وهي اسفار موسى الخمسة ، ومزامير داود ، وانجيل المسيح ، وقرآن محمد .

نبوءة زراوسترا عن المخلص الآتي

تدور عقيدة الافستا حول مبدئين متناقضين : الروح الصالح ، واسمه

« اهورا - مازدا » ، اي العالم بكل شيء ، وهو اله واحد ابدى ، لاحد لجودته وقداسته ، يعلو كل سلطان ، يقطن منذ الازل نوراً ابدياً ، يمثل جوهره تعالى ، ويجلبه كراء له . واهورا - مازدا هو المحسن الاكبر ، وخالق الآلهة الاخرى ، وصانع الفردوس ، والسماء ، والنجوم ، والريح ، والماء ، والنار ، والارض ، والانسان والحيوانات الطاهرة . الا ان هنالك روحاً آخر شريراً ، اسمه « انومينوس » ، اي الروح الهدام ، يسكن الهوة والظلمات ، وهو اصل الشرور والخطايا والموت . ويعمل تحت امرة هذين الروحين ، فريقان من الارواح الصالحة او الشريرة ، يعملان لسعادة العالم او لشقاءه .

وحياة العالم ، في العقيدة الايرانية ، تدوم اثني عشر الف سنة ، تقسم لاربعة حقبات ، مدة كل منها ثلاثة آلاف سنة . ويسود السلام في الحقتين الاوليين ، فلا يبدأ العراك بين الروح الصالح والشرير ، الا في الحقبة الثالثة . اما في الحقبة الرابعة ، فيظهر زراوسترا ، ويعلمن عقيدة اهورا - مازدا . وزراوسترا ، هو المخلص الاول ، ويؤزره في عمله هذا ثلاثة « مخلصين » من نسله ، يدعى ثالثهم « أستفات - أريتا » ، ومعناه « الحقيقة المتجسدة » ، وسيكون المخلص الاكبر ، يعيد البشرية الى سعادتها الاولى ، وينصر الخير نهائياً على الشر ، ويقيم الموتى ، ويجري الدينونة العامة ، ويوطد ملك اهورا - مازدا على الارض .

وتستوعب انتباهنا ولادة هذا المخلص العجيبة : « فهو يولد من فتاة عذراء ، لم يقترب منها رجل » .

وتعين الافستا الصلوات والطقوس الدينية ، وفي طبيعتها اشعال نار على الهيكل لا تحبو ابدأ . وتلقي هذه المهمة على عاتق الكهنة ، ولذا يدعى الكاهن « آتران » ، اي رجل النار ، او « راتو » ، اي مرشد الضمير . ويرأس الكهنة حبر اعظم ، يدعى « زرانوستاتيا » ، وهو يقيم الذبيحة العلنية بالاشتراك مع الكهنة .

المخلص الفارسي والمسيح المنتظر

ان الكتبة المسيحيين الاولين ، بخاصة السريان منهم ، بالرغم من معرفتهم ان زراوسترا لا ينتمي الى الشعب الاسرائيلي ، يعدونه نبياً قبل المسيحية ،

استخدمه الله ليث ، بين الوثنيين ، عقيدة مجيء المسيح . ونسمعهم ينسجون الروايات الطريفة حول عقيدة الخالص الفارسي ، يرون فيها نبوة جليلة عن مجيء المسيح . فنقرأ في احد المخطوطات الشرقية (Codex Orientalis della Laurenziana) : « لقد قام في عهد النبي موسى رجل يدعى زرادوست ، ووضع اسس العقيدة المجوسية . وفي احد الايام فيما كان يعلم المبتدئين ، قرب عين ماء ، راح يقول لهم : ان فتاة ستجبل دون رجل ، ودون ثلم بكارتها ، وسوف يصلب اليهود المولود منها في المدينة المقدسة ، مدينة ملكيصادق ، الا انه سيقوم من الاموات ويصعد الى السماء . وكعلامة لولادته ، ستعاينون في الشرق ، نجماً - انه ليس بالحقيقة نجماً بل ملاكاً - يلمع باشد بهاء من الشمس ، ومن نجوم السماء . فعندما تزونه ، اسرعوا الى بيت لحم ، لتعبدوا المولود الجديد وتقدموا له الهدايا » .

والكاتب السرياني تيودور بارقوناي ، في القرن الثامن ، يسرد الرواية التالية : « نبوة زرادوست عن المسيح : فيما كان زرادوست جالساً على نبع المياه ، راح يخاطب تلاميذه الثلاثة ، غوستاب ، وشاشان ومهمان : يا بني الاحباء ، الذين غذوتم بلبن تعاليمي ، ها انا اكشف لكم سرّاً عجبياً عن الملك الآتي في مستقبل الدهور . ففي آخر الازمان ، سيجبل بطفل في حشا فتاة عذراء ، دون ان يمساها رجل . وهو اشبه بشجرة جميلة مشمرة ، مرتفعة في صحراء قاحلة ، يثور عليها سكان الارض ويحاولون اقتلاعها من تربتها ، ولكن باطلاً يفعلون . وفيما بعد ، سوف يقتل على الحشبة ، فتلبس السماء والارض ثوب الحداد لموته ، وتنوح عليه جميع الشعوب . وبعد ان يهبط الى اعماق الارض ، سيرتفع الى العلاء ، ثم يشاهد راجعاً محفوفاً بجيش من النور ، وراكباً على غيوم بيضاء . - فراح غوستاب يسأل زرادوست : من يستمد القوة هذا النبي العجيب ؟ العله اعظم منك ، ام انت اعظم منه ؟ - فيجيبه زرادوست : انه سينحدر من نسلي ومن أسرتي . انا هو ، وهو انا . هو فيّ وانا فيه . وان علامات باهرة ستري في السماء مبشرة بمجيئه ، فيلمع نجم وضاء يكسف نوره الساطع ضياء الشمس . فيا بني ، انتم الزرع الحي ، وقد بذرتهم في حقل النور ، انتظروا النهاية المحددة ، وعندما يظهر النجم المبشر بمجيء الملك العظيم ، ابعثوا رسلاً يعبدونه ، ويحملون اليه الهدايا ، واياكم ان تردروه ، لانه ملك الملوك ، وهو وانا واحد » .

وابن العبري ، حول سنة ١٢٥٠ م ، يحدثنا عن الآراء الراجحة في عصره حول المجوس والنجم العجيب الظاهر لهم ، فيقول : يزعم البعض ان ملاكاً بشكل نجم ظهر للمجوس ، فيما البعض الآخر يقولون ان المجوس عاينوا في النجم فتاة تحمل على ذراعها طفلاً ، يعلو هامته اكليل . ويرتأي غيرهم ان المجوس شاهدوا في النجم خروفاً يبشر بمجيء المسيح . الا ان قوماً يروجون ان بلعام او زراوسترا نبيهم ، تنبأ لهم عن هذا الحدث .

اما اوريجينوس العلامة ، فيرى في زراوسترا بلعام العراف نفسه ، الوارد ذكره في الكتاب المقدس (سفر العدد ٢٢ - ٢٤) . فيقول : ان موسى قد حفظ نبوءة بلعام وكتبها لنا ، او بالاحرى تناقلها بحرص سكان بلاد ما بين النهرين ، وهم يحوطون بلعام باعظم الاكرام . وبلعام ، هو نفسه مؤسس المجوسية في المشرق ، وان نبؤته عن المسيح ، « سيشرق نجم من يعقوب ، ويقوم صولجان من اسرائيل » (عد ٢٤ : ١٧) ، بقيت حية في التقليد المجوسي ، ولذلك عرف المجوس ، من النجم الظاهر لهم ، بمجيء المسيح المنتظر . وراح يوستينس الفيلسوف ، وغيره من الكتبة الكنسيين ، يعطون لتعاليم زراوسترا شروحاً مسيحية ، لكي يبرهنوا للوثنيين ان اعلامهم ومفكرهم سبقوا وتنبأوا بالعقائد المسيحية .

كيف نخل لفرز زيارة المجوس لمولود بيت لحم ؟

ختاماً لمقالنا هذا الوضع ، نعطي كخلاصة ، الحلول التالية : ان الافستا ، وهي مجموعة تقاليد وقصص وروايات ، لم تؤلف في عصر واحد ، ولكنها تتوزع على عصور متعددة ، وقد تمت كتابتها سنة ٦٣٢ ب.م . وقد تأثرت تأثراً كبيراً بعقائد اليهود والمسيحيين ، وهذا ما يشرح التقارب الذي نجده بين تعاليمها وتعاليم الكتاب المقدس ، في عهده القديم والجديد . ومنذ ايام كيروس (+ ٥٢٩ ق.م) ، كان لليهود اتصالات كثيرة مع الفرس ، وقد تأثر حكماء فارس وعلماؤها بالعقائد اليهودية ، وربما انهم اقتبسوا عقيدتهم ، في المخلص الآتي في آخر الدهور ، من نبوءات العهد القديم عن المسيح المنتظر الآتي ليخلص العالم . ولا سيما وان كتبة اليهود ، بغية حمل الفرس على اعتناق دينهم ، راحوا يقابلون بين عقيدة المخلص في الافستا والنبوءات عن المسيح المنتظر في التوراة . فالمجوس تباع زراوسترا ، في السنين الاولى من

العصر المسيحي ، لدى اطلاعهم على هذه الكتابات اليهودية ، راحوا يرون في المسيح العبراني المخلص الايراني . وهذا ما يشرح لنا ، كيف انهم لدى ظهور النجم العجيب ، اسرعوا الى بيت لحم ، ليقدموا له العبادة والاكرام ، لانهم رأوا فيه المخلص الآتي ذكره في الافستا .

الا انه لا بد لنا من الاقرار ان زيارة المجوس ليسوع الطفل المولود في بيت لحم ، يقودهم نجم غريب عجيب ، تبقى لغزاً شائكاً ، لم يتوصل العلماء حتى اليوم لحله بوضوح . كما ان سؤالاً يتبادر الى ذهننا : لم متى وحده بين الانجيليين الاربعة ، تفرد بذكر هذا الحدث الجلل ؟ ..

نكتفي بعرض هذا السؤال ، تاركين لأئمة واعلام الكتاب المقدس ، مهمة حل مشكلاته واجلاء غوامضه ، فهم اولى منا بذلك .

الاب
يوسف داغر المخلصي

اكيريكية سيدة الرعاة
بيت ساحور - الاردن

التشريع الاجتماعي في لبنان

(تتمة)

بقلم
المسنينور جوزيف كوردين

مكافأة العمل

قال منجمو: « هنالك رجال عنيدون قابضون على الحياة ». والحياة ، في نظر العامل ، هي اجرتة . وبما ان هذه القضية اساسية فهي لذلك مصدر نزاع متواصل بين العمال وارباب العمل .

من المهم ، اذن ، ان يجيء التشريع بعنصر استقرار على هذا الصعيد . ماذا ينص قانوننا ؟ انه يظهر ظهوراً مخلصاً . ولكنه يعرب ايضاً عن شيء من الحيرة ، ولربما كان هذا هو السبب الذي يجعله مناقضاً نفسه بنفسه .

ينص قانون سنة ١٩٤٦ على ان الاجرة في حدها الادنى يجب ان تكون كافية لتأمين احتياجات العامل واحتياجات عائلته . ومن ناحية اخرى فان مرسوم سنة ١٩٤٣ يلزم رب العمل بدفع مخصصات عائلية فضلاً عن الاجرة . فان كان معدل الاجرة كافياً للقيام بأود العائلة فاية ضرورة تبقى لفرض مخصصات عائلية ؟ هذه هي نقطة التناقض . لننتقل الآن الى نقطة الحيرة .

كان المشرع في سنة ١٩٤٦ يعلم جيداً انه كان قد حدد معدل الاجرة الادنى ب ٧٥ ل.ل. وهو معدل لم يزل ساري المفعول ، فيما يختص بالعمال الجدد . وكان يعرف ايضاً ان هذا المعدل لم يعد كافياً بسبب ازدياد غلاء المعيشة بدليل ان تعديلات لاحقة تناولته على دفتين حتى رفعته في سنة ١٩٤٥ الى مبلغ ٩٣،٥٠ ل.ل. ولم يكن المشرع ليستطيع ان يجهل ان هذا المعدل الاخير نفسه لم يكن ليسمح لرب عائلة ان يعيش مع عائلته عيشة لائقة . وهذا ما صرح به قانون سنة ١٩٤٦ . لقد كان باستطاعة المشرع في ذلك الحين ان يفرض نظام تعادل اجباري بين حد الاجرة الادنى وبين معدل غلاء المعيشة ، ولكنه لم يفعل . والسبب في ذلك يعود ، على الأرجح ، الى اعتماده على التحسينات التي طرأت على المخصصات العائلية .

الا ان نوع فرض هذه المخصصات برهن على انه قليل الفائدة عملياً ،

و ضد الروح الاجتماعية ، لانه وضع اعباء المخصصات العائلية بكاملها على عاتق رب العمل ، فكان لامندوحة لهذا الاخير عن التهرب . يدل الاختبار على ان رب العمل يفضل تشغيل العمال العزاب على المتزوجين وانه يسعى غالباً الى تسريح العمال الذين يعزمون على الزواج . ولا اظن ان المشتري قد توخى مثل هذه النتيجة . ولكن ، أليس هم العامل هو ان يوفر مجبوحه العيش لاسرته قبل اي شيء ؟

لقد اختار القانون الحل الاسهل بتطبيقه نظام المخصصات العائلية الاداري على اصحاب المشاريع الخاصة . ولكن أمن العدل ان ن فرض على كل فرد من ارباب العمل إعالة اولاد عماله كما يعيل اولاده هو ؟ أليس على المجتمع كله ان يؤمن ديومته هو بتأمينه حياة الولد وذلك بالقائه هذا العبء على عاتق سائر المهن مجتمعة ؟ هذا هو المبدأ التوجيهي لصناديق التعديل المتبع في عدد كبير من البلدان . انه حل اجتماعي يطبق على مشكلة اجتماعية . نظراً لاهمية مشكلة العائلة يخيل اليّ انه من الضرورة الملحة ادخال اصلاح عاجل على القانون في ما يتعلق بهذه النقطة ، فيعاد النظر في التجديد القانوني للاجرة وللمخصصات العائلية ثم يقام ، انطلاقاً من هذا التجديد ، نظام لتوزيع الاعباء . ولكن لن يتحقق تقدم جدّي على هذا الصعيد ما لم يكن عند ارباب العمل القدر الكافي من الروح الاجتماعية يمكنهم من التعاون مع السلطة وفيما بينهم .

الصرف من الخدمة

ان يكن هناك امتياز ناتج عن قانون سنة ١٩٤٦ عزيز على قلب العمال فلا شك في انه امتياز تعويض الصرف من الخدمة .

لن اعود الى الظروف التي سببت نشر مرسوم يوسع نص قانون الموجبات في ما يتعلق بقضية الصرف من الخدمة . ان قانون سنة ١٩٤٦ ، القاضي بتوسيع نطاق تطبيق التعويض للصرف من الخدمة ، قد خلق تشويشاً وسبب منازعات كثيرة ، اذ انه اعطى نفس الامتياز للمصرفين من غير سبب ، وللمصرفين لسبب بلوغهم السن القانونية .

ان يكن من العدل المتبادل ان ينال العامل المصرف من الخدمة من غير سبب بدل العطل والضرر ، فصرف العامل الذي بلغ السن القانونية هو

حق طبيعي . وها نحن امام مشكلتين مختلفتين يجب على المشرع ان يعطي كلاً منهما حلاً خاصاً ، فيصلح بذلك ، من جهة اولى ، اجتماعاً ناجحاً عن تجاوز صلاحية ، ويؤمن ، من جهة ثانية ، حياة عامل مسن انقطع عنه مورد رزقه . ان هذه الحالة الاخيرة تضعنا امام مشكلة اجتماعية يترب حلها على المجتمع ذاته وليس على الفرد وحده .

وكيف يستطيع المجتمع ان يؤمن حياة الشيوخ المقعدين ؟ لقد عملوا له طيلة حياتهم فكان لهم في عنقه دين تفرضه العدالة الاجتماعية . - ليس من المعقول ان يفرض على رب العمل القيام بأود عماله المسرحين حتى آخر نسمة من حياتهم . هنا ايضاً لم يشأ القانون ايجاد حل اجتماعي حقيقي للمشكلة ، بل لجأ الى نوع من التسوية ادّت بنا الى النتيجة التالية : ان عاملاً مسرحاً يبلغ الستين من العمر ، وقد قضى لا اقل من عشرين سنة في العمل ، يتناول من رب عمله مبلغاً من المال يمكنه من العيش مدة عشرين شهراً . فعندما يعجز هذا العامل المسن عن العمل ، يتعرض حتماً ، بعد مضي سنتين على تسريحه وانفاقه كامل تعويضه ، الى ان يكون عالة على اولاده او على الاسعاف العام . وحياناً ينفذ رأسماله قبل مرور السنتين وذلك لاسباب قاهرة . لاشك انكم تقولون انه من الطبيعي ان يقوم الاولاد بأود والديهم العاجزين . انه لحق ، ولكن ذلك لا يمكن البنين القيام به في بلد تتدنى فيه الاجور لهذا الحد .

ان الحل الافضل والاكثر حكمة من الوجة الاجتماعية هو : انشاء تقاعد للعمال المسنين يستند الى تأمين الشيخوخة ويساهم في تغذيته جميع السكان العاملين . وها ان الاتراك ، في الشرق الادنى ، قد لجأوا الى هذا الحل منذ عدة سنين .

ان الضرورة تقضي بالاسراع للخروج من هذه الحالة المشوشة التي اوجدها القانون ، واعتبار النظام الحالي كمرحلة انتقالية تمهد لاقامة نظام تقاعدي نهائي .

الجمعيات المهنية

قبل سنة ١٩٤٦ بذلت محاولات سابقة لجمع المستخدمين والعمال ؛ وكان من حسنات قانون العمل ان اعطى لهذه الرغبات طابعاً رسمياً . ان فكرة النقابة كما عرضها القانون ووطدها مرسوم سنة ١٩٥٢ لم تأت

مطابقة لمبادئ الحرية العالية على قلب اللبنانيين . واطن ان ظروفأ سياسية معينة قد دفعت بالمشترع الى تبني تلك الفكرة .

انه لحق ان المادة ٩٠ تعلن حرية انضمام او عدم انضمام العمال وارباب العمل الى النقابة ، الا ان تأليف النقابة ظل خاضعاً لنظام الاجازة المسبقة . وهنا يتبين ان الحكومة ظلت محتفظة بحق منع تأسيس كل نقابة لا تروق لها مهما كان السبب . يضاف الى هذه السيطرة التي تمارسها الحكومة الدور الذي يلعبه موظفوها في انتخابات النقابة ومراقبتها وحلها .

اما الاضراب ، وهو السلاح الاهم في يد العمل النقابي ، فليس بالممنوع ، ولكنه محدد ببضعة احكام جد حكيمة من قانون الجزاء . يخضع المضربون لعقوبات تتفاوت خطورة حيناً يكون اضرابهم موجهاً ضد السلطة مباشرة او حيناً ينتمون الى مصالح او مشاريع عامة .

من المفروض ان تكون سيطرة الدولة المعقولة تجاه نقابة ناشئة وقليلة الخبرة على استعداد للتخفيف من وطأتها حيناً تبلغ تلك النقابة نضجها الكامل . ليس لديّ ، شخصياً ، معلومات كافية في ما يتعلق بنشاط النقابات اللبنانية الداخلي تمكيني من ان اعرف هل انشئت ، فعلاً ، مصالح تعاون دائم ذات جدوى وفعالية . ولكنني اعتقد ان في وسع الحكومة ان تساعد هذه النقابات لكي تصل بها الى مستوى اعلى من النضج في جو هادىء من التعاون وذلك بافصاحها مجالاً اوسع امام تنظيم المهنة .

لقد دخلت العقود الجماعية اليوم في عادات كثيرة من البلدان ، وهي عقود تعتبر حجراً اساسياً في البناء الاجتماعي الحديث . انها قوانين عمل حقيقية يجري النقاش فيها بين نقابات العمال ونقابات ارباب العمل ويتعاملون معاملة الند للند ، ثم تقرها الدولة فتصبح عنصر استقرار لا ريب فيه داخل المهنة ، وتهد بصورة دائمة لاتصالات انسانية جزيلة الفائدة بين ارباب العمل والعمال . ان كثيراً من الخلافات التي لم تكن لتصفى الا في الشارع يفصل فيها آنذاك حول طاولة مستديرة في جو تسوده روح التفاهم المتبادل . وفضلاً عن ذلك فانها ، بتوحيدها لشروط العمل ، تمهد لاقامة الأمن الاجتماعي .

فمن المستحب ان يصل المشترع اللبناني بالنقابات اللبنانية الى هذه المرحلة بواسطة نصوص معينة .

امراض وحوادث

ان التدابير التي اتخذها القانون لتدارك اخطار الامراض والحوادث المعرضة لها حياة العامل لا تبدو حلاً اجتماعياً حقيقياً. فنحن هنا ايضاً امام تسوية ، فضلاً عن انها تسوية بعيدة عن الكمال .

علينا ، اولاً ، ان نميز بين الامراض المهنية والامراض غير المهنية. فالاولى تخضع لذات الاحكام التي تخضع لها حوادث العمل ، وستكلم عنها في حينها . اما في ما يتعلق بالامراض غير المهنية فان رب العمل غير مسؤول عنها ، الا في تقديم الاسعافات الاولية المستعجلة بواسطة التنظيم الاجتماعي الطبي الواجب اقتناؤه في حال استخدامه اكثر من عشرين عاملاً . وفوق ذلك عليه ان يمنح العامل عطلة مرضية تتراوح مدتها ، تبعاً لتقديم الخدمة ، بين شهر مع كامل الاجرة وشهر آخر مع نصف الاجرة ، وبين شهرين ونصف مع كامل الاجرة وشهرين ونصف آخرين مع نصف الاجرة .

اما بعد انقضاء هذه المدة فيترك العامل حاله وجهاً لوجه مع مرضه وبؤسه ... ان النص المتعلق بحوادث العمل ، وهو اقدم نصوص القانون ، ليس بالشامل لانه لا يطبق الا على المشاريع المبينة في المادة ٢ .

ولكن يجب القول ان هذه المشاريع واسعة النطاق وقد تشمل العمال المزارعين الذين يستخدمون الآلات .

ان جميع الاسعافات الطبية من معالجات واعضاء اصطناعية تقع على عاتق رب العمل وفقاً لجدول اقره اما التشريع او القاضي .

فاذا كان العجز المتأني عن الحادث يدوم اكثر من ثلاثة ايام فيترتب على رب العمل دفع تعويض يومي يعادل ثلاثة ارباع الاجرة طيلة مدة العجز . واذا جر الحادث الى عجز دائم فيترتب على رب العمل دفع مبلغ مقطوع حالماً يقرر الطبيب حالة دوام العجز .

ففي حالة عجز العامل عن كل عمل (عجز دائم وشامل) يترتب على رب العمل دفع تعويض يعادل اجرة ١٨٠٠ يوم ان كان العامل لم يبلغ بعد سن الخامسة والثلاثين ، واجرة ١٥٠٠ يوم ان كان عمر العامل يتراوح بين خمس وثلاثين وخمسين سنة ، واجرة ١٢٠٠ يوم ان كان عمر العامل قد تجاوز الخمسين سنة .

ولما يصبح العامل عاجزاً عن الاتيان بالعمل (عجز دائم جزئي) فيعين له جدول بالنسبة المئوية محدد بالقانون يعين مبلغ التعويض تبعاً لاهمية العجز .
فالقانون يتبنى اذن نظرية الاخطار المهنية ، ويعتبر العامل غير مسؤول عن حادث العمل الا اذا ثبت انه قد تعمده . غير ان القانون يأخذ هذه النظرية بمعناها الضيق فيضع عبء اخطار العمل على عاتق رب العمل وحده . فيجب اذن لكي يخفف من ثقل هذا العبء ان يوجد حل يدفع بموجبه رب العمل مبلغاً مقطوعاً ، وهو حل يتيح للعامل المفضل ، اي الذي لم يبلغ بعد سن الخامسة والثلاثين ، ان يعيش بتعويضه مدة خمس سنين ... وبعد ذلك ؟ ! ... هل يظن احد ان هذا التدبير يرفع المسؤولية عن عاتق المجتمع تجاه العامل المصاب ؟ لا اظن . فنحن امام حل ناقص ، ونتمنى ان نشهد تحسناً في القانون وتعديلاً في هذه الناحية ، بادخال التطور الذي اتبعته القوانين الغربية على هذا الصعيد . فهي تحمل مجموع المهن عبء الاخطار المهنية ، وتخصص راتباً يدوم مدى الحياة للعامل العاجزين عن العمل . وهذا الراتب تغذيه الحصص التي تدفع مساهمة في انشاء التأمينات العامة .

وبما ان معدل الحوادث الخطيرة ضعيف بالنسبة الى الصناعة بكاملها ، فمن المتوقع ان يكون الاصلاح المنشود سهل التحقيق ، بعكس الاصلاح المماثل حين يراد تطبيقه على المرض غير المهني فهو يشكل عبئاً اثقل وتعقيداً أشد . ومع ذلك يجب ان لا تفت هذه الصعوبة في عضد المشتري بل عليه ان يحاول هنا تحقيق عمل انساني جيد ضروري . فالتأمين ضد المرض يجب ان ينشأ في لبنان .

خلافات العمل

وبهذا الامر الهام اختم حديثي .
إنه لمن واجب الدولة ، على الصعيد المهني ، ان توطد علاقات سلمية دائمة بين العمال وارباب العمل . ويبرر تدخلها مقدار تداركها الخلافات التي قد تحدثها ظروف العمل .

ان المراجع القضائية التي اقامها القانون اللبناني للنظر في مثل هذه الخلافات تبدو بسيطة ، اذ تقتصر على مجلس تحكيمي في كل محافظة ، مؤلف من قاض ومن يمثل عن ارباب العمل ومن ممثل عن وزارة الشؤون الاجتماعية

بوضعه مفوضاً عن الحكومة . اما صلاحية هذا المجلس فتتخصر في المواد الثلاث التالية : الحد الأدنى للاجور ، وحوادث العمل ، والصرف من الخدمة . اما احكامه فغير قابلة الاعتراض .

وهنا استسمحكم عذراً بان اوجه انتقاداً لشكل هذه المراجع القضائية التي لا يتوفر لها المرونة الكافية والكفاءة القضائية الواجبة . لماذا نزع السلطة في خلافات صغيرة ناشبة بين الافراد ومن الممكن حلها حياً ؟

ان هذا الخطأ من شأنه ان يسبب فضلاً في عدد الدعاوى التي يروح تحتها المجلس التحكيمي فيفقد فعالية المحاكمة المستعجلة المفروضة فيه ، ويطول جداً مدد تأجيل المحاكمة الناتج عن تراكم الدعاوى .

تنص جميع القوانين على اجراء المصالحة قبل الشروع في المحاكمة . وبذلك تسهل لاصحاب العلاقة إما التحكيم واما الاتفاق الحبي .

وهذا يفترض وجود هيئة مصالحة ضمن ادارة المصنع . ففي تركيا نظمت طريقة مندوبي الموظفين المنتخبين من رفاقهم والمكلفين للبحث مع صاحب المصنع لكل خلاف يحدث .

وفضلاً عن ذلك فالقانون اللبناني لا يهتم الا للخلافات الشخصية متجاهلاً وجود الخلافات الجماعية والاكثر خطورة .

يجب لي ان هناك ثغرة هامة ولكنها تصبح سهلة التلافي حينما يتاح قيام عقود جماعية .

فان عدم وجود مجالس تحكيمية هو مخالف لتقاليد العدالة اللبنانية . ومن المحتمل ان يكون هذا الاختصار قد بدا مناسباً في نظر المشرع للحوول دون تراكم الشغل على القضاة ، غير ان هذا التدبير لا يحول دون التعرض لخطر ابرام عدد من الاخطاء القضائية .

ان الاصلاح الذي يبدو لي الانسب يقوم باثشاء هيئات صلاحية واعطاء اصول محاكمات التحكيم بضع درجات ، او درجتين على الاقل . ويمكن ان توضع على راس المجالس التحكيمية غرفة عليا قادرة على الفصل في خلافات الجماهير .

الخلاصة

على الرغم من الثغرات التي اشرنا اليها آنفاً فإن لقانون العمل اللبناني قيمة لا تنكر، فهو يضع عالم العمال تحت حماية حقيقية، وقد احرز تقدماً اكيداً على صعيد التنظيم الاجتماعي في البلاد. ولكنه، لسوء الحظ، لا يتبنى حلولاً كاملة الفعالية في معالجته قضايا هامة. وقد القى على كاهل ارباب العمل اعباء ثقيلة لانه لم يشأ ان يضع الاخطار الناشئة عن العمل على عاتق العالم العامل. لذلك يجب اعادة النظر في هذا القانون وتعديله. فالكثيرون من اللبنانيين يشعرون بضرورة هذا الاصلاح ومع ذلك فمنذ ست سنوات ما زال القانون المذكور في حالة الجمود ويخشى ان تنفجر بينه وبين الحياة اللبنانية هوة عميقة العور.

حينما لا يعود القانون ينسجم مع متطلبات الحياة تتألم البلاد. لذلك من المهم جداً، ان تعاد سريعاً الى قانون العمل اللبناني تلك القوة الاندفاعية السليمة التي تمكنه من بماشاة تقدم المجتمع اللبناني. من الضرورة الملحة ان يقام اولاً نظام صناديق مخصصات عائلية وضمانات اجتماعية.

قلت في بدء حديثي ان قانون العمل هو كمرآة تنعكس عليها اخلاق المحيط. ان حقبة الجمود، التي مررنا بها، تدل على ان هناك نقصاً في الاهتمام العام للاصلاحات الاجتماعية العميقة. لذلك يجب على جميع من يريدون الخير لبلادهم ان يحاولوا في جميع الظروف وبجميع الوسائل اثناء الروح الاجتماعية في محيطهم وحمل الحكام القادة على المبادرة الى العمل. يوم تعطي الحكومة الاولوية لاصلاح القوانين الاجتماعية ويقرها مجلس النواب حينئذ يمكن للبنان ان يصبح اسعد البلدان لان القوى الحية حينما تتوازن في الامة يتضاعف نشاطها ويتجه الى تثبيت دعائم ازدهارها. ولكن الشرط الاول هو ان تسود بين جميع الطبقات وبين جميع الافراد روح المسالمة والمحبة، حتى يكون هناك تشريع اجتماعي حقيقي.

ان فكرة اولوية الصداقة هي التي يشدد عليها «مونجو» في ما يتبع من النص الذي تلوت عليكم مقطعاً منه في بدء الحديث. وها انا اترك لهذا النص مهمة العثور على الخلاصة:

في جميع البلدان ، من الشمال الى الجنوب ؛

ملايين من الايدي معلقة بالحياة .

ملايين من الانظار معلقة بالامل .

بمقبض المحارث

بسيور الآلات

بابتسامة السنابل

بقوام النساء واضحوكة السرير ،

في كل بقعة من بقاع الارض

نعقد معاً هذه الملايين من الايدي

وتخترق بهذه الملايين من النظرات

ذاهبين مع الفولاذ الشديد التقاوة

والجدور العميقة المدى .

ونحبك فوق الحدود

الاسلاك الكثيرة الزرد

لتطويق الحياة

على وجه البسيطة ،

ونعقد بين الاصابع

بين العظام ، بين الياف اللحم ،

رباط الصداقة !!

حول الشمس واسرتها والفضاء وريادته

بقلم

الاستاذ يوسف اسعد داغر

نشر في ما يلي مقالاً مستفيضاً وضعه احد العلماء الاميركيين هو الاستاذ اسحق اذيموف بمناسبة ريادة الفضاء في عهدنا هذا ، ضمنه معلومات غاية في الدقة ، حول نظامنا الشمسي والاجرام التي يتألف منها ، وما بينها من انساب وحجوم واقدار ، والحق بجته هذا يجداول علمية مبسطة . وقد نشرت المقال المذكور مجلة « ورلد ساينس » في عددها الصادر في غرة شهر ايار ١٩٥٨ .

تحتل الارض المرتبة الخامسة من حيث الحجم في مجموعة الكواكب السيارة والاجرام والاقمار التابعة للشمس في دورانها اللامتناهي في المجرة . فاذا ما وضعنا الشمس جانباً ، رأينا ان اربعة من اصل هذه الكواكب السيارة التابعة لنظامنا الشمسي ، هي : المشتري - زحل - اورانوس - نبتون - يفوق حجمها حجم الارض ويكبرها . وهناك في نظامنا الشمسي ، ١١ جرمًا (راجع جدول ١) هي دون الارض حجماً ولكن لها شأن كبير . وهذا العدد يتألف من الكواكب السيارة الكبرى الاربعة ، والاقمار التابعة لها والدائرة في مدارها . والمعروف ان القمر او التابع ، هو جرم سماوي يدور حول بعض الكواكب في الحين الذي يدور فيه هذا الكوكب بالذات حول الشمس ، كالقمر بالنسبة للارض مثلاً . ولكل من هذه الاجرام السماوية ، سواءً أكانت تابعة لنظامنا الشمسي ام لغيره من الانظمة والنجوم الاخرى قطر محدد معين ، كما يبدو جلياً لمن ينعم النظر في الجدول رقم ١ .

وهذه الارقام التي نثبتها هنا كانت دائماً موضوع اهتمام المعنيين برصد الفلك من علماء الهيئة كما هي اليوم مناط بحث العاملين في ريادة الفضاء وتقدير الابعاد والمسافات التي تباعد بين الكواكب والنجوم . ولما كان معظم المعلومات والمعطيات العلمية التي تتعلق بهذه الكواكب وما اليها من اقمار وتوابع يمدنا بها المرقب والمنظار ، كانت الارقام التي تلاحظ حجوماً ارقاماً

تؤلف احصاءات اساسية في هذا الموضوع ، اذ ان قطر كوكب ما هو اسهل ما يمكن اخذه بواسطة المرقب وتحديدته . فالقطر (وبالتالي المسافة) هو الذي يحدّد ، بالطبع ، حجم جرم معين وييسر دراسته . ولهذا كان علم الفلك يقوم على مبادئ وقوانين وما اليها من معطيات ومقارنات بين حجوم الاجرام التابعة لنظامنا الشمسي على اختلافها ، وذلك بتحديد حجمها عن طريق تحديد قطرها .

غير ان هذه الطريقة تسقط من الحساب بعض المعلومات الاحصائية التي تزداد اهمية عندما يطلع علينا الوقت الذي يستطيع معه الانسان الهبوط الى هذه الكواكب وما اليها من اقمار وتوابع . فالمساحة والاتساع مثلاً هي من العناصر الاولى ومن افيدها ، لدى النظر في جرم من اجرام السماء ومواجهة احتمال هبوط الانسان عليه . فقبل ان يرسم الانسان مخططاً لغزو هذا القمر او ذلك الكوكب والنظر في امكانيات تعميره واستعماره بالجوالي والنوازل البشرية ، يهيمه ان يعرف بالضبط ما هو اتساع مساحة هذا الجرم وامتداد رقعته . فالاراضي القابلة للأحياء والاعمار والموارد الارضية الصالحة للتعدين تتوقف اهميتها ، قبل كل شيء ، على اتساع رقعته وتوفر مواردها .

قطر الارض يبلغ ٧٩١٤ ميلاً ، وقطر القمر : ٢١٦٠ ميلاً . ومن هذه المقارنة يتضح ان القمر يوازي ١/٤ الارض . لا يخرج الامر عن هذا اذا ما اخذنا قطر الجرمين الواحد بالنسبة للآخر ، بينما الحقيقة هي ان مسافة الجرم الواحد بالنسبة للآخر هي بنسبة مربع القطر الواحد في كل منهما . وهذا انما يعني ان مساحة القمر هي ١/٤ × ٢ او ١/١٦ من مجموع مساحة الارض .

والجدول الاول ايضاً المرفق بهذا المقال يبدي لك مساحة بعض الكواكب الهامة والاقمار الدائرة حولها في النظام الشمسي ويقارن بينها وبين مساحة الارض . وقد اسقطنا منه مساحة السيارات الكبرى الاربعة اذ ان قطر الواحدة منها تغشاها اجواء ظلية مضطربة مجهولة المدى والمجال . كذلك نجعل قطر الاجرام الاخرى التي يمكن للانسان ان يواجه احتمال الهبوط عليها ، فنجعل بالتالي مساحة هذه الاجرام وسعة رقعته .

وهناك ناحية من الاحصائيات العلمية مهمة للغاية في عصر طلعت علينا

فيه زيادة الفضاء والملاحة الجوية في متاهاته اللامتناهية ، وهي تلك التي تتعلق بالجاذبية وتأثيرها في كل من هذه الاجرام السماوية . كل مركبة من مركبات الفضاء تسير على مقربة من احد هذه الاجرام تتوقف سرعتها اولاً على ما تلاقيه من فعل الجاذبية الخاصة بهذا الجرم . ولهذا الجاذبية تأثير كبير على المسافرين في الفضاء يشبه ما لحركات المد والجزر والتيارات المائية والهوائية من اثر على ملاحى السفن المائية .

ان جاذبية جرم ما من الاجرام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمادة او العناصر التي يتألف منها هذا الجرم او عليها قوامه ، اي ان جاذبية جرم معين تتوقف على كتلته . والكتلة تعادل الحاصل من ضرب الحجم بالكثافة . فالجسم وحده لا يعني كبير امر . قد يكون مثلاً رأس نجم مذنب بحجم الشمس واكثر ، ومع ذلك فالمادة التي يتألف منها تتوزع بلطافة ، بحيث ان جسم المذنب نفسه لا تزيد كتلته على كتلة نيزك من النيازك .

ان حجم جرمين سماويين الواحد بالنسبة للآخر يعادل مكعب قطريهما مثال ذلك ان قطر المشتري (جوبيتر) يعادل ١٠،٩٩ مرات قطر الارض . ولذا كان حجم المشتري (١٠،٩٩)^٣ او ١٣٢٧ ضعف حجم الارض . ومن جهة اخرى ، ان قطر القمر هو ٠،٢٧٣ . من قطر الارض ، ولذا ساوى حجمه (٠،٢٧٣)^٣ اي ٠،٠٢٠٥ من حجم الارض .

وكثافة جرم ما من الاجرام تشير او ترمز لما بين عناصره المقومة والاجزاء التي يتألف منها قوامه ، من تماسك وتلاحق وتلاحم بين دقائقه . فالكوكب المشتري يتألف جوه الضخم من العناصر الخفيفة الوزن ، كما انه يحتوي كميات هائلة من المواد الخفيفة الصلبة او الجامدة . لذا كانت كثافته لا يزيد معدنها عن ربع كثافة الارض . ولهذا السبب عينه كان حجمه ١٣٢٧ ضعفاً حجم الارض ، مع ان كتلته لا تعلقو كتلة الارض سوى ٣١٨ مرة لا غير .

والقمر - قمرنا - اقل كثافة من الارض . وبما لا ريب فيه انه بين الاجرام المحسوسة التابعة للنظام الشمسي ، الارض هي اعلاها واكثرها كثافة على الاطلاق . فاذا كان ٥٠ قمرأ تساوي حجم الارض ، فيلزمنا ٨١ قمرأ من قمرنا ليساوي كتلة الارض .

٧ اميال في الثانية الواحدة . فكل جسم يقذف به في الجو وينطلق بسرعة ٧ اميال في الثانية يستمر في انطلاقه صعوداً دونما عودة الى الارض (ان الاقمار الصناعية التي اطلقت سنة ١٩٥٨ ، كانت سرعتها ٥ اميال في الثانية ، ومثل هذا المعدل في السرعة لا يكفي للانفلات من تأثير جاذبية الارض) .

والسرعة اللازمة للاجرام السماوية التابعة لنظامنا الشمسي للانفلات من جاذبية بعضها البعض هي موضوع الجدول رقم ٢ من الجداول المرفقة بهذا البحث . فمن الطبيعي ، والحالة هذه ، انه كلما زادت سرعة الكوكب الانفلاتية ، اشتدت بالتالي الحاجة لقوة دفع اكبر لاجراء قذيفة ما من مجال جاذبية الجرم المذكور . ان تكنولوجيا الصواريخ بمعدل السرعة التي امكن للعلم اليوم تحقيقها هي كل ما بوسعنا فعله لقذف الصواريخ واطلاق الاقمار بسرعة نستطيع معها الانفلات من جاذبية الارض . ولذا يبدو من غير المعقول ، كما يبدو لنا من غير المتوقع ايضاً ، المحاولة ، في المستقبل القريب ، للانفلات من تأثير جاذبية اجرام تفوق بقوتها وشدتها جاذبية ارضنا اضعافاً ، وذلك لسبب وحيد بسيط هو ما يقتضينا الانفلات من تأثير جاذبيته في حال وصولنا الى مداره الخاص او الهبوط الى ارضه ودنياه من وقود خاص له من قوة الدفع والانطلاق ما لا قبل لنا به ولا في طاقة العلم المحيز لدينا توفيره .

الا انه من الايسر بكثير الانفلات من جاذبية الكواكب الاخرى والهروب من تأثير الاقمار التوابع لها ، اذا ما هبط عليها الانسان . ان جاذبية القمر مثلاً ، لا تتعدى $\frac{1}{6}$ جاذبية الارض . ولذا كان الانفلات من جاذبية القمر اسهل وايسر من الانفلات من جاذبية الارض . فالسفينة او المركبة الهوائية التي تود الانفلات من القمر والتخلص من تأثير جاذبيته تحتاج من الوقود اقل مما تحتاجه للانفلات من جاذبية الارض ، مثلاً .

الجدول رقم - ١ مساحة بعض الكواكب السيارة

اسم الكوكب	المساحة بالاميال المربعة	قطره بالاميال	المساحة النسبية
الارض	١٩٧,٠٠٠,٠٠٠		
الزهرة	١٨٢,٠٠٠,٠٠٠	٧,٦٠٠	الارض باستثناء آسيا منها
المريخ	٥٤,٠٠٠,٠٠٠	٤,١٥٠	مساحة المحيطين الاطلسي والهندي
بلوطو	٤٠,٦٠٠,٠٠٠	٣,٦٠٠	» المحيطين الاطلسي والمتجمد ش
تريتون	٣٢,١٠٠,٠٠٠	٣,٢٠٠	مساحة المحيط الاطلسي
غنيميدس	٣٠,٦٠٠,٠٠٠	٣,١٢٠	مساحة المحيط الاطلسي
زحل	٢٨,٣٠٠,٠٠٠	٧,١٠٠	مساحة قارتي آسيا وافريقيا
تيتان	٢٧,٤٨٠,٠٠٠	٢,٩٨٠	مساحة قارتي آسيا وافريقيا
كاليستو	٢٤,١٠٠,٠٠٠	٢,٧٧٠	مساحة آسيا واميركا الجنوبية
القمر	١٤,٤٦٠,٠٠٠	٢,١٦٠	مساحة قارتي افريقيا واوروبا
ايو	١٢,٨٠٠,٠٠٠	٢,٠٢٠	مساحة اوروبا واميركا الشمالية
اوروبا	١٠,٤١٠,٠٠٠	١,٧٩٠	مساحة اوروبا واميركا الجنوبية
المشتري	٨٧,٠٠٠		
اورانوس	٢٩,٥٠٠		
نبتون	٢٦,٤٨٠		

الجدول رقم - ٢ معدل سرعة الدوران

الكوكب	الكتلة بالكتليونات من الاطنان	معدل السرعة بالاميال في الثانية للانفلات من الجاذبية	الكوكب	الكتلة بالكتليونات من الاطنان	معدل السرعة بالاميال في الثانية للانفلات من الجاذبية
المشتري	٢,٤١٠,٠٠٠	٣٧٠٩	بلوطو	٢٢٠	١,٤٩
زحل	٦٣٠,٠٠٠	٢٢٠٨	تريتون	١٤٥	١,٠٩
نبتون	١١٤,٠٠٠	١٥٠٩	غنيميدس	١٧٠	١,٠٨
اورانوس	٩,٦٠٠	١٣٤٩	تيتان	١٥٥	١,٠٧٥
الارض	٦,٦٠٠	٧	ايو	٨٠	١,٠٥٥
الزهرة	٥,٤٠٠	٦٠٥	القمر	٨١	١,٠٥٠
المريخ	٧١٠	٣٠٢	كاليستو	١٠٧	١,٠٥٠
عطارد	٣٥٨	٢٤٧	اوروبا	٥٢	١,٠٣٠

فرنسا بين ماضيها وحاضرها

بقلم
الاب الياس كويتي الخلصي

افاقت فرنسا في يوم تاريخي مشهود في الثالث عشر من ايار سنة ١٩٥٨ على اجيح ثورة تنفخ من افريقيا وتمتد مهددة الكيان والارواح . عقب ذلك تحوير جذري في نظام سياسي عريق نسخ نصه وروحه كثير من دساتير العالم . وتطلع العالم بدهشة الى ما وراء هذه الحوادث التي بدأت زاجرة ، وتتابعت شعبية موالية . فمتى ، قال المحبون ، تنعم فرنسا باستقرار يعيد اليها بعد نكبات ناعسة مركزها المرموق وتأثيرها البليغ . فالعالم في ظلاماته وأنواره لن يستغني عن فرنسا ، التي دُعيت في حقب التاريخ الطويلة « بسلطانة الدول ، ام الحضارة ، مركز العلوم والمعارف ، قطب دائرة الفنون وجنة الدنيا » ؛ وهو لن يستلم صاغراً الى نشوة انتصار العلم دون مساهمة وافرة لفرنسا فيه ؛ والعالم اخيراً لن يياس مع رجال فرنسا الذين ساهموا مع كثيرين غيرهم ، فاضرموا شعلة الحضارة ولقنوا الانسانية المثل العليا ، ونحتوا في المادة الصماء ، والقلوب اللينة ، آيات للفن رائعات ، وبسطوا للعالم اجمع ، في بعيد وقريب اقطاره ، ولتحلف اممه ، قلباً سخياً بالرحمة والشفقة . ان فرنسا لا تزال محور التاريخ تنطفئ الجذوة فيها فيتخبط العالم في الدجنة الدكناء ، وتمرض ، فيحس كثيرون بجوع الحرية وعطش الفن ومرض الفكر . لهذا السبب تابع العالم ، باهتمام وحذر ، حوادثها الجسام ، وترقب انتشاع الغيوم وتبدد الاعصار الذي عصف . وكان يوم حدث فيه هدوء واستقرار . وما اجمل السلام ، كما قال ولي الدين يكن : « في دار العلم وموطن الحرية وجنة الدنيا ومريض الآساد » .

١ - واقع التاريخ

في ارض فرنسا ، وفي شعب فرنسا كل العبرة . ان فرنسا تتصل ببلاد مختلفة ، وبالتالي بشعوب مختلفة . فهي آخر امتداد للقارة الاوربية المكملة للقارة الآسيوية . فاليها تنتهي المصائر ، وعلى شواطئها

تقف احلام الفاتحين . فأمم كثيرة مرت فيها ، وديانات مختلفة انارت جنباتها ، فكانت فرنسا انصار شعوب واخلاق ، كوّنت ، على توالي الحقب الشعب الفرنسي . ناهيك ان اختلاف الارض بين جبال شامخة وادوية منخفضة ، والآفاق المتنقلة بين البحر العريض والارض المنبسطة ، والضرورات المتنوعة التي تستلزمها طبيعة الارض ، جعل الفرنسي متغيراً متقلباً ، ووهبه افكاراً فسيحة واسعة . « فالبحر الجبلي ، كما قال ويبي هليك الالماني ، مهما ضاقت دائرته ، هو ينبوع لا ينضب في توليد شتى الصور الجديدة ، يوماً فيوماً في عقلية وخيلة الذين يتربون فيه ؛ كما ان السهول والمنسحات ، حيث تمتد الابصار الى آفاق واسعة تخلق في الشعب بعداً في النظر ، وبعداً في الافكار والاحكام . وكل من هذين المنظرين له عظمتة : فعظمة السهول في مد الانظار ، وعظمة الجبل في تزيين الخلق بشتى الصور العميقة . »

اننا نرى ايضاً اثر البحور البليغ في الشعب الفرنسي . فالبحر المتوسط ، حمل مع موجاته الى فرنسا ، الابدية واللغة والدين ، وايضاً ميزات الفكر من منطق وفلسفة ؛ وبجر المانش مزج بين الشعوب السكندنافية والانكوسكسونية مع الشعب الفرنسي ، الذي اخذ اسلوب الاقتصاد وحب التجارة والترحال . انما ابلغ اثر هو للبحر الاطلسي الذي فتح امام نواظر شعب سخي القلب وقوي الخيلة آفاقاً لا تحد للبطولة ، فنشط في حمل مشعل الحضارة وفتح اسواق للربح في بلاد جديدة ، ونشر الدين .

لوفرة هذه العوامل ينشأ الفرنسي دموي الطبع . فهو كريم القلب ، يرتاح للبذل ويحفظ للمعروف ، مرح النفس ، فكاه الاخلاق ، واسع الفكر ، قوي الخيلة ، منطقي في تفكيره ولغته . ولا عجب « فكل شيء » ، كما قال ابقرات ، هو كالارض التي تنبت وتنتج .

ينبوع التاريخ هو الواقع الجغرافي المشدود الى الواقع الانساني بربط اقوى من الموت . فالاحداث لا تفسر الا بعلاقة بعيدة او قريبة ، مع اشخاص عاشوا ضمن اطار من احوال خاصة ، فصنعوا التاريخ . فهو اذن صدى السنين الحاكي قصة قوم مرّ مركبهم في العالم ، فأحدث تموجاً توالي وتلاطم وتتابع ثم انبسط عند الشاطئ العريض يخط على الرمال آيات بيّنات . هو ايضاً سجل يحفل بذكرى قوم زرعوا في اثلام الحياة ، حبات قلوبهم ،

فأثرت بعد عناء وخفاء ، اعمالاً ذكرتها الاجيال للعبوة . ان التاريخ وليد الانسان ، كل الانسان .

وتاريخ فرنسا هو هذا . انه كتاب لا تتبدل وجوهه ، ولا تزول معالمه . فهي تتعاقب راتبة ، مرة قائمة ، وطوراً مشرقة . احياناً تظهر فرنسا ظافرة باعدادها ومشاكلها و احياناً تبين رازحة في سجون الذل والهوان . انما الغريب ان يعقب هذا كله رجوع دائم ، وتجدد مستمر . فالتاريخ في فرنسا يعيد نفسه حقبة تلو حقبة ، وجيلاً بعد جيل ، لانه تاريخ شعب حي يصيبه في معتوك الحياة الدوران والتبدل ، والانتصار والانكسار .

٢ - ام الحضارة

يشرح ما سبق ما يمتاز به الحضارة الفرنسية المشرقة . فهي في الذروة ، تنسخها الامم ويتقلدها الافراد . لا تزول ولا تشيخ ابدأ ، بل تتجدد وتروع مع توالي النكبات . تغدق باستمرار على العالم روائعها ، فيشبع في جوعه الى الحق ويرتوي في ظمأه الى الفن . ان مكانة الحضارة الفرنسية هي هذه لانها حضارة الانسان الكامل .

والحضارة انما هي روح .

شرحت احدى المجلات ، خصائص الحضارة الفرنسية فقالت : يمتاز الفكر الفرنسي بالقصد والاتزان ، والجمع بين القدرة على العمل والنزوع الى التأمل والنظر ؛ ويؤلف بين جرأة الفكر وحرارة الشعور . وهو لا يقبل شيئاً دون نقد وتمحيص . وعنده الاعتقاد الراسخ ، والايان المتقد بالحقائق الروحية التي تدعو الانسان دائماً ان يتخطى الطبيعة وان يجاوز نفسه ، ساعياً وراء الخير والجمال . وفوق ذلك ، فان العقلية الفرنسية تتمتع بملكة الحكم السليم التي يضعها الفرنسي في خدمة المثل الاعلى . وان الجمهور يكاد يفهم كل شيء ، ولا يكاد يغيب عنه شيء من دقائق الامور . فالفرنسي حيوان ناطق بمعنى الكلمة . والميزة الرئيسية للعقلية الفرنسية والفكر الفرنسي هو الايمان بأن الانسان حر ، وان القوة ينبغي ان تخضع للحق دائماً ابدأ .

ان حضارة كهذه لن يعثرها ذبول . فاذا زالت فرنسا ، وجب بعثها لان العالم لن يستغني عن فكر الفرنسيين الجانح الى تحديد وفهم كل شيء ،

وعن قلبهم السخوي الذي مع حلول السياسة يعطي حلولاً انسانية . والعجيب هو ان فرنسا ، رغم تضخم فكري هائل ، يجير المتأمل بتناقضه وعقمه احياناً ، لا تزال عالية المكانة ، تحمل في الطليعة راية الثقافة . وقد تساءل البعض بحيرة ، انما بحق ، هل ان الفكر ، هذا التراث الذي حرص عليه الشعب كآثر مقدساته ، مدى اجيال طويلة ، اصبح شراً لفرنسا ، يهدد الكيان ويسدد الضربة القاضية في صميم الامة . قد يكون الشر في ان فرنسا تفكر كثيراً ؛ وكثرة الافكار هي احياناً تهلكة .

يروع في الفكر الفرنسي تنوعه العجيب ، الذي ما صار يوماً الى البلبلة ، كما يروع في الطبيعة الجميلة اتصال حلقات كائناتها بالاختلاف وتوالي دقات نظامها في عدم نظام . فاختلاف الاغراض ، وغرابة المتناقضات وتنوع الوجوه ، جعل الادب الفرنسي رائعاً . فنرى مع ديكارت الشاكك باسكال المؤمن ؛ ومع بوضويه الساعي الى الحصر والاستقلال فينيلون المتسامح البعيد المحبة ؛ ومع جيد الخالع كلوديل الملتزم ؛ ومع قالري الرومنطقي المريض ، بورجه ومورياك وبرناتوس الواقعيين ؛ ومع سارتر الوجودي الملحد كبريال مرسال الوجودي المؤمن . فالفكر الفرنسي يدين لآلهة كثيرة .

من ميزات الحضارة الفرنسية انها حضارة حرة . والحرية تعرض للخطر . والانسان يختار بين سبيلين ، فاما ان يرفض الحرية او يقبل امكانية الخطر معها . فكانت الخلاعة في الأدب ، وعبادة النفي ، وحب الاعماق كل الاعماق ، والوجودية الاباحية ، ثمرات طبيعية لحضارة تفتحت للحرية ، فتعرضت للشطط ولعظم المتاهات . فالحرية كنز ثمين وهبة عظمى . هي طريق الخلود وطريق الهلاك ايضاً ، فانها دون سياج وسور من فطنة تسقط وتضل . ويصدق القول ، في هذا المعنى ، بأن الخطر هو ان نفكر ، والسلامة في ان لا نفكر . فما ضرُّ يا ترى ، من يردد كلمات مشورة ، ويتناقل افكاراً شائعة . ان الطريق الى اعظم الحقائق ، والى الله نفسه ، لن يكون الا عن طريق الحرية . والذي يكره الحرية يكره الحقيقة ، وبالتالي الله نفسه . وليس من شك ان فكراً حراً هو فكر متفتح لكل شيء ، يتصل بكل الآفاق وينزل حتى الى الاعماق القذرة . فحرية الحضارة هي من حرية الانسان .

ان حدود فرنسا لا تنتهي عند الشاطئ الاطلسي . فراية الحضارة الفرنسية تحفق فوق جميع القارات ، وتفخر بها امم كثيرة . وكانت صلات الفكر الفرنسي مع الفكر العربي الحديث عميقة ، وكان التأثير واضح المعالم ، عند كتابنا وادباثنا وشعرائنا ، وفي كتبنا ومجلاتنا وجرائدنا . وبين رواد الفكر ، من حضنتهم فرنسا ، وارضعتهم حليب ثقافتها النيرة ، كجمال الدين الافغاني واحمد شوقي وخليل مطران . وفي رأينا ، ان الادب العربي لن يخرج من جوده ، الا بقدر ما يمتزج بالآداب العالمية . فالوطن الذاتي والاقليمي ، اصبح ضيقاً للانسان الذي لا يصبح انساناً كاملاً ، الا بوعي لكل ما بهم الانسان .

٣ - كنيسة حية

بين الحضارة والمسيحية عروة وثقى ، وبين الحضارة الفرنسية والمسيحية ، ربط أقوى من الموت .

ان المسيحية علمت الانسان انه هبط دنيا الارض . فاصبح ، ايام غربته على الارض ، وقد احس بالحنين ، يسعى بقواه كلها شطر الالوهة يستوحي منها مثل الحياة . واصبحت الارض ، امام انطلاقة ضيقة على رحبها ، والافاق محدودة على امتدادها . فالاله قد حصر بين جدران كثيفة والروح قد سجن في قفص المادة . من هنا كانت انطلاقة الحياة المتفجرة حياً ، ومن هنا كانت انطلاقة النفس المشعة فكراً ، وكانت ، نتيجة لذلك عبودية الحق ، واحترام الفرد ، والحرية السمحاء ، والتضحية لخير عام ، والمحبة بلا قياس من مستلزمات المسيحية النيرة ، ومن مستلزمات الحضارة بالتالي . قال اتلي : « لا نصيب لمدينتنا بالبقاء الا اذا اعتنقت المبادئ المسيحية في علاقاتها الدولية وفي حياتها الوطنية » .

سر الحياة هو سر الكنيسة . فالكنيسة انما هي امتداد المسيح الى البشرية كلها ليضمها في جسد سري رائع . وكل منظمة حية ، لا تتطور مع الزمن ، وتتقدم مع تبدل احوال البشر ، تتأخر وتفشل وتضمحل . والكنيسة الحية ، من حياة السيد المسيح نفسه ، كانت دوماً تسعى لتسير مع الزمن ، وتماشى الركاب ، وتعطي للانسانية في كل جيل ، رواد خير يسرون بالعالم في السبيل السوي ويرشدون البشر الى الغاية القصوى .

يسترعي الانتباه عند الفرنسيين الكاثوليك تطور مدهش انما في نظام راتب وعقيدة راسخة . وقد طلع القرن العشرون بمؤسسات دينية ، في فرنسا ، ادهشت العالم ودكت حتى الاساس ، افكاراً خاطئة تناقلها الناس عن الكنيسة . فمن « منظمة الكهنة العمال » الى « اخوة يسوع الصغار » الى « جامعي الحرق » سلسلة رائعة في التطور وفي المحبة ايضاً . والغريب حقاً ان ينحى هذا الجديد وغيره ، نواحي مختلفة من النشاط الانساني . فهي ثورات فصلت بين عهود ، دخلت معها الكنيسة في صراع وجودي ، وجهاً لوجه مع الشيوعية والفقر والبؤس . وذهبت الى المعركة العظيمة في المعامل والخنادق والمعادن ؛ واصبح رجالها ، وهم اولاً رجال الله ومكملو سر النعمة وخدام البشر ، يأكلون مع خبز الحياة خبز التعب المضني ، ويشربون مع دم حمل الذبيحة العظمى ، خمرآ مزجته ايديهم بعرق جبينهم ودماء قلوبهم . وآتئذ كشف القناع امام الملا ، عن وساعة في المحبة لا يجدها مكان ولا يونيها بؤس . وفي كل هذا اتجهت الكنيسة في فرنسا الى الفقر ، واحبت المسكنة وتعبدت للمحبة . فكانت صورة لمعلمها ومؤسسها الالهي محب العشارين والحطأة وراحم الزناة وحاضن الاطفال . فالمحبة هي دوماً كل الناموس ، وهي الانجيل ، هي البداية والنهاية في الخلاص الانساني والمسيحي .

ان مصير العالم هو مصير المحبة فيه . فاما ان يتغلب الحقد ، واما ان تنتصر المحبة . وتنعزى ونفخر ان رجالاً من كنيسة فرنسا الكاثوليكية ، كلاب بيار وشارل دي فوكو وجاك لو ، ادركوا سر الدهور ، فدخلوا معركة المحبة ، وهم بلا شك لمنتصرون « فابواب الجحيم لن تقوى عليها . »

ولم يجزع رجال من كنيسة فرنسا الكاثوليكية من وقف حياتهم على عبودية المجرر والمعول ، خدمة للعلم . فالاب تيلارد دي شاردان يعتبر من اكبر ادمغة التاريخ الحديث ، في الفلسفة والعلم . وقد قضى حياته يسعى لحل مشكلة الانسان ابتائه في الوجود . فتأكد له ان المجموع الانساني ما زال طاقياً وبيولوجياً قتيماً يافعاً ، وما زالت الارض بعيدة ان تكون أمت تطورها الفلكي . وخلص الى هذه النتيجة ان الحب وحده ينبوع الوحدة التي تصهر جميع الافراد . شهير ايضاً عمل الاب فو الذي عهد اليه ان يميظ اللثام عن اكتشافات بحر الميث الخطيرة ، وعن « دير قمران » الشهير . فالدين

والعلم لا يتناقضان والكنيسة الكاثوليكية ما جزعت يوماً من تقدم العلم ، لانها موقنة ان الطريق الافضل للوصول الى الحق ، انما هي وساعة المعرفة وعمق التفتيش . ففي الاخير ، لن يعثر الا على الله .

يسوقنا ما تقدم الى الكلام عن فرنسا في الشرق . فبين فرنسا وبلادنا صلات كثيرة ، هي وشائج دم وارض وحضارة . ولا يخفى على متبصر ، ان العلاقات بدأت تجارية ، ففرنسا هي بحاجة الى قطن مصر ، وحرير لبنان وفتح سوريا . وهي بحاجة ، كما يقول الاقتصاديون ، الى اتساع حيوي ، تسوق اليه الفائض من محاصيلها وصناعاتها . واستخدمت فرنسا ، وجود اقلية كاثوليكية في الشرق الادنى ، لتعزز مركزها ، وتنتشر حضارتها . ومن ينكر الا من يريد ان يتغاضى عن الحق ، تأثير فرنسا ، على كنيسة الشرق الكاثوليكية ، وعلى شرقنا العزيز كله . فالمدارس والاديرة والمؤسسات والجمعيات هي دليل ساطع على ان فرنسا هي محامية المسيحيين ، وحامية الحضارة ؛ هي خادمة الكنيسة ، وخادمة البر والاحسان ، والفقر والجهل .

٤ - فرنسا بين الدول

احلام جول فرن تناقلتها الكتب ، فسخر منها كثيرون . لكن العالم افاق يوماً على سباق مستमित بين الدول لتحقيق بعض الاحلام ، في شتى نشاطات الانسان . وما وقف تجاه مطامع الانسان ، عالم الارض وانفلات كوكبنا ، مستقلاً في الفضاء الارحب ، وما يدور فيه من افلاك . واخذ يعدّ العدة لضيق الارض عن استيعاب سكانها وعجزها عن تغذيتهم للسكن في عالم جديد ، فيسد العجز الفاجر . فان اميركا ، يقول الانسان ، اكتشفت لما ضاقت رحاب الارض بالانسان ، فلماذا لا يواجه اليوم ، هو نفسه ، حل المشكلة دون الاعتماد على الصدف . فنشطت كل دولة على دعم مركزها وتوسيع الحدود والاتصال بالعدد الاوفر من الشعوب ، وفتحت المجالات واسعة للعلم والاختراع ، فسكان من كل امة وبلد ، مخترعون وعلماء غاصوا في الغامضات وادركوا المعجزات . انما بأسف هذا السباق ، الذي يخدمه ، صفوة ما بلغ اليه الانسان من حذق وفن واختراع ، اتجه الى سباق ، لاستتباب السلام باعداد حرب مدمرة . فجازت القنابل والمدافع

والصواريخ والاقمار المقام الاول ، ثم اتى بعدها وعلى الهامش ، استخدام العلم لتكثيف حياة الانسان وتسهيل سبيل عيش راغد . فالعقدة ، كما نرى ، ان الانسان ، لم يع بعد ان العلم هو الخدمة الحياة ، وان العلم آلة عمياء ، لا يستطيع ضبطها الا بتحكيم العقل على القلب ؛ وهو قد تعامى عن تفهم فلسفة التاريخ . فهناك عناية الهية ، اقوى من الانسان ، تستطيع في دقيقة من الزمن ، قطع الحبل الرابط العالم بالوجود والرجوع به الى فراغ العدم ، فيضمحل الكوكب الحي ، ويقف وجود الانسان وتذهب كالهباء ، حضارة ، عمل الانسان مدة عشرين قرناً على ضيها وانقائها وتشبيدها روائع لها مقادس للحق وهياكل للجمال .

وفرنسا هي دولة بين الدول . لها رسالة تاريخية لحضارتها وآدابها ، ولها مقام رفيع ، بما قدمت من رجال فن وعلم ، صاغوا للاجيال روائع مثلى . نعم قد لا نجد في فرنسا ما تجوزه بعض الدول الكبرى من غنى وجبروت وسؤدد ، وكثرة الرجال ووفرة العتاد . لكن ، ماذا يهم والغنى كله ، انما هو غنى الفكر ، والقياس المحق هو قياس النوع لا قياس العدد . وتشهد جوائز « نوبل » على ان الفلاسفة والعلماء لم يكونوا دوماً من الامم الاكثر عدداً والافر غنى ، بل نبغ عدد كبير منهم من دول صغيرة وفقيرة . والتاريخ ، ذلك الحكم المنصف ، شهد على ان فرنسا قدمت على توالي العصور نخبة كبيرة لخدمة الانسانية ، فمن العلماء لافوازييه الى باستور الى الكسبي كاريل ؛ ومن القواد نابليون الى فوش الى لوكليو ؛ ومن السياسيين تاليران الى كلنصو الى ديغول ؛ ومن المهندسين ايفل الى فرديناند دي لسبس الى كوربوزيه ؛ سلسلة طويلة الحلقات وشهيرة ، تشهد على مدى الاحقاب بأن تاريخ العلم والفن والسياسة والحرب ، مدين لفرنسا ، بالشيء الكثير من صفحاته الالامعة ووجوهه المشرقة .

نستعرض لمامة من تحقيقات فرنسية ، رغم ان العالم يضح اليوم باختراعات الروس والاميركيين . ولا نلم الا بالحدث منها . ان أعلى رافعة اثقال (grue) في العالم هي على شاطئ المانش الفرنسي ؛ والقطار الاكثر سرعة في العالم وهو مسترال (Mistral) ، يصل بين باريس وشاطئ المتوسط ؛ واخضم مرصد . Radio — Telescope في العالم هو في نانسي

(Nançais) ؛ واعلى مصعد (Téléphérique) ، الى الجبال في العالم هو في شامونيكس (Chamonix) . فالاستنباط الفرنسي شمل الصناعة والعلم والفن ، وعمّ كثيراً من الاقطار ، متدفقاً نهر آلات وبضائع ومعدات . حتى ان مدينة مكة المكرمة عند الاسلام عهدت الى شركة فرنسية بمد افنية فيها . وكذلك فنزويلا عهدت الى فرنسيين ، لتشييد اخضم معمل بولاد في العالم . وفي شرقنا العزيز ، ما اكثر تحقيقات الفرنسيين ، فمن حفريات « رأس شمر » الى اكتشافات بحر الميت ، الى المعاهد الفرنسية والمستشفيات الشهيرة والمصافي وغيرها . ففرنسا تفتقر فقط الى وقت تجابه فيه ازدهاراً كان قد تحقق ، لولا خلق حروب في الهند الصينية والجزائر ، لصد تيار هائل يجتاحها من اقصاها الى اقصاها .

ذكر تايلور (E. Taylor) وهو اخصائي اميركي في الشؤون الفرنسية ، بأن الانتاج في الولايات المتحدة يزيد ثلاثة في المئة كل سنة ، بينما يبلغ في فرنسا ستة في المئة سنة ١٩٥٥ وثمانية في المئة سنة ١٩٥٨ . وفي السنين الاخيرة تقدمت فرنسا حتى بلغت صادرات بعض معاملها خمسة وسبعين في المئة من شغلها . وفاقّت فرنسا المانيا بانتاج الفحم الحجري ؛ وصدرت الى الولايات المتحدة ، عدداً من السيارات ، لم يفز عليه الا السيارات الالمانية . ويدعم هذا الازدهار الاقتصادي ، المساعدات الاميركية التي بلغت ٢٣١٠ مليار فرنك ، وتوحيد السوق الاروبية ، واتحاد المستعمرات في نظام وثيق الارتباط مع فرنسا الأم ، والاستقرار السياسي الذي بدأ يلوح في الافق . عدا ان المقدرات سواء في الحكم او الاقتصاد هي بيد الشباب . فقد ذكرت مجلة Entreprise ستة من رواد الاقتصاد الفرنسي بلغت اعمارهم ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٥ ، ٣٢ سنة .

٥ - مأساة فرنسا

مأساة فرنسا ان رجالها كثر . ففي سبع سنوات قضاها فنسان اوربول في رئاسة الجمهورية ، بدلت فرنسا ١٤ مرة وزارتها . ولم تستطع الا وزارة واحدة ان تعيش اكثر من سنة . ولا عجب ، فالبرلمان يعد ١٣ حزباً ، بل يعد ، على رأي احد الصحفيين ، احزاباً على عدد النواب فيه . كذلك

منذ سنة ١٨٧٠ لم تعش الا ثلاث وزارات اكثر من ثلاث سنوات . وطبيعي ان تغير الحكم كثيراً بوقع البلاد في بلبال مضر . لهذا شكت الدولة ضعف سلطتها ، وشلت المزاخمة الاجنبية الاقتصاد الوطني ، وتامل الشعب يطلب مسكناً . فعدم الاستقرار السياسي سبب من اسباب مأساة فرنسا .

ونجد ايضاً ان فرنسا خاضت خلال نصف قرن غمار حربين عالميتين كبيرين ، وحرباً في الهند الصينية دامت سبع سنوات ، وهي لا تزال تحارب في الجزائر . والحرب تفقد فرنسا خيرة رجالها ، وزهرة شبابها ، وهي تقضي على كل امكانية للبعث ، وعلى كل طاقة تحول فرنسا ان تحتل مكانتها من جديد على مسرح الحياة الدولية . لكن دولاً اخرى نكبتها الحرب ، فهدمت المدن ، وقطفت ازهاراً لم تنضج ، ودكت حتى الاساس المصانع والمعامل ، وهي اليوم في ازدهار عارم ، فالمانيا اليوم هي ورشة بناء بعد ان كانت خراباً . قد تكون الحروب من اسباب مأساة فرنسا ، انما السبب المهم هو في الاعماق .

فالعلة هي في القلب . ان الفرنسي اضاع الثقة ، وفقد الامل بالحكومة ، وهو يراها تتر ، كما تتر الصور على الشاشة ، تتخبط في عدم استقرار وفي تناقض . دليل واحد يكفي للتبيان ، فالفرنك الفرنسي تبدل سعره اربع مرات من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣٩ ، وستة مرات منذ سنة ١٩٤٤ . فزالت طبيعياً ثقة الشعب بالنظام المالي ، فركن الى الذهب ، وهو الثابت ابدآ ، وخزن منه كميات ، حتى قدر الاخصائيون بانه يبلغ ستة مليارات من الدولارات اي انه يزيد على كمية الذهب في بنك فرنسا . ان الصورة لقائمة جداً ، فهناك تضخم مالي ، وهناك خوف من الحرب ، وخوف من الشيوعية ، وبلبلة ناتجة عن اختبارات اقتصادية متناقضة ، بما زرع الخوف في قلب التاجر والصناعي ، فامتنع عن المغامرة ؛ والصناعة والتجارة بدون مغامرة لا تتقدم . ان السبب خطير ، وهو ضياع الثقة . لذا ، كما قال فنسان اوربول : « ملّ الشعب من السياسة وكفر بالتنضحية » .

الواقع هو ان الفوارق الصارخة بين طبقات المجتمع ، والهوة العميقة التي تتصل بين الترف المفرط من ناحية والفقر المدقع من ناحية اخرى ، والكساد الاقتصادي ، والرجعية الاجتماعية ، وفقدان الامل بالمستقبل ، أخذ يلقي بعدد

كبير من الشعب الفرنسي في احضان الشيوعية واللامبالاة والتهرب من المسؤولية . حتى الجيش الفرنسي ، وقد اشتهر بنظامه ، فقد الثقة وتمرد . وفقدت فرنسا مع ما فقدته مركزها المرموق ، وبدأ العالم ينظر الى دول اخرى تتفوق وتزاحم . فلم يكن من ينقذ فرنسا الا سياسة حازمة ، تشيع العدالة ، وترسي قواعد الانتعاش الاقتصادي ، وتضمن للحكومة الاستقرار ، فكان ، ديغول رجل الساعة العصبية .

٦ - ديغول رجل تاريخي

يعرض فيلم « الوصايا العشر » مشهداً بالغ الروعة . فموسى بعد ان كان الابن المدلل لفرعون مصر ، طرد لحسد اخيه له ، وللمألته للشعب اليهودي المستعبد ، وحكم عليه ان يذهب الى الصحراء . واخذ موسى مالاّ وماء وسار في الصحراء الشاسعة . وكانت خطواته وثيدة ، تصده الريح فيطوح ، وتهب عليه الرمال فيختبئ . وطال السفر حيث لا ماء ولا انسان ولا ظل شجرة ، وكد التعب موسى حتى عرق دمماً وتاه . فانبطح على الرمال يستجدي الرمل نقطة ماء ، والسماء مطرة والارض ظلاً . وثارت الهواجس في قلب موسى العظيم ، فماذا بعد الصحراء؟! ويحيب صوت الله الراعد والداوي في الصحراء : ان الاعمال العظيمة تهباً ، يا موسى ، في الصحراء المقفرة الجرداء ، حيث الخلوة والتوك والاهمال ؛ والعظمة يا موسى لا تنبت الا في ارض سقتها الدماء غزيرة ؛ ولا بد لك ان تفقر لتعني ؛ ان العذاب والحрман والبلية هي اول سبيل العظمة والنجاح . فتقوَّى موسى ، بعد الصوت ، وتابع سيره وسط الرمال .

هذه هي صفحة من حياة ديغول . فقد طالت خلوة هذا الرجل في صحراء النسيان والتوك والعذاب في قرية قريبة الى باريس . كان يتأمل في مأساة فرنسا ، فهي قد اقتربت من الهاوية الفاغرة فيها ، تتطلع الى الاعماق ولا يضطرب لها جفن . فالياس قد استحكّم في النفوس . وتامل الرجل العظيم وتحرك قلبه شفقة على هذا الشعب الذي كفر بالنعمة . فلماذا نسيت ، كان يكتب في مذكراته ، انا الذي خلصت فرنسا من اعظم محنة مرت بها ، انا الذي زرعت الامل بعد اليأس ، انا الذي قدمت حاملاً صليب اللورين

الطويل الى رتبته الاولى . وطال الصمت والتأمل . لكن الامل عاد يلمع في عيني ديغول ، فقد فهم ، ان عناية الله ، لن تترك فرنسا تغيب في الظلمات . فهي تعودت ، كما شهد التاريخ ارسال رجال لفرنسا في المحن القاسية . ففي حرب المئة سنة ارسلت جان دارك وبعد الثورة اتى نابوليون ، وفي الحرب الكبرى ظهر فوش ، وفي ازمة ١٩٢٩ وقف بوانسكاريه يلجم تدهور الفرنك ، وفي حرب ١٩٣٩ ارسلت انا ديغول . وتتابعتم التأملات حزينة مرة ، ومعزية اخرى ، حتى دقت الساعة ، في ايار سنة ١٩٥٨ دقات سريعة : فالامة في نزاعها ، عرفت منقذها . ان الحرمان اثمر والعذاب اينع خلاص فرنسا .

اول طريق خلاص فرنسا هو الاستقرار . فالشعب قد ملّ ويئس حتى الثورة من تعاقب ازمات وزارية ، دون فائدة ، لشلل في النظام البرلماني ولخوف من السقوط . وكانت فرنسا بحاجة الى دعم الفرنك الذي فقد ثقة الاوساط الاقتصادية ، وثقة الشعب الفرنسي نفسه . والولايات تجر الولايات ، فهناك تأخر في تطوير الزراعة ، وفي انطلاق التجارة الى العالم الواسع . فان فرنسا يمكنها ان تغذي سبعين مليوناً ، وهي اليوم تكفي حاجاتها ؛ وفرنسا عندها اسواق للتجارة ثابتة في الاتحاد الفرنسي . ان شللاً كبيراً كان يخفق فرنسا ، ويعيقها عن التقدم ، وهو فقدان الثقة .

ومنذ ان تسلّم ديغول الحكم في ١ حزيران سنة ١٩٥٨ ، تلبية لنداء الامة ، عمل على الاصلاح ، فاتي بالمعجزات . وفي اشهر قلائل استتب السلام في الربوع النيرة وسكنت الارض بين يدي المنقذ ، فعدّل الدستور ليضمن الاستقرار السياسي ، وثبتّ الفرنك بخلق فرنك قوي ، وسعى لزحزحة كابوس حرب الجزائر بحلول عادلة ، وصادق على المعاهدة الاوربية . وفي هذا السير السريع تبعه الشعب متحمساً موالياً ، وعطف على قضيته ، وبايه الانقاذ واكبر فيه الاخلاص . واذا فرنسا تخلقت من جديد ، ويدوي صوتها هداراً ، فانما هي امة خلقت للعظمة والرفعة ، ولها رسالة حاشي للزمن ان يطويها . وكان اكبر انتصار لديغول ، ورسائله التاريخية ، الاجماع العظيم على انتخابه رئيساً للجمهورية . ان عملاقاً كبيراً بدأ يلوح في الافق يفرض هيئته واحترامه .

ان ديغول ، وكل رئيس جمهورية في النظام الجديد ، هو الزعيم الحقيقي للدولة الفرنسية . كان رئيس الجمهورية في القديم ، ظلاً واداةً صالحةً فقط لاستمرار الحكم ، حتى تهكم كلمنصو ، النمر الفرنسي ، فحتم ان رئاسة الجمهورية هي غير ضرورية للأمة ، كبعض الاعضاء في الجسم الانساني . اما في النظام الجديد فيتمتع رئيس الجمهورية بسلطة اوسع تشبه سلطة رئيس الجمهورية في الولايات المتحدة . فهو يرأس اجتماع الوزراء ، يمكنه ايضاً ان يعرض شرائع على الامة ، يمكنه ان يستغني عن مجلس النواب فيحله اذا تعدى النظام ، يمكنه ان يمارس سلطات استثنائية حين يهدد الخطر النظام القائم وارض الجمهورية الفرنسية وتملكات الاتحاد الفرنسي ؛ هو الرئيس الاعلى للجيش كلها ، هو ناظم ومثبت المعاهدات الدولية ؛ تزيد على ذلك كله ، انه هو الرئيس الاعلى لحكومة كبرى تضم حكومة فرنسا وحكومات الاتحاد الفرنسي . فالدستور الفرنسي الجديد هو صورة لديغول ، وهو صدى لما كان يطالب به ، مع غيره ، لاصلاح الفساد . ولم تبالغ الصحف الاميركية بالقول ان ديغول في دستور الجمهورية الخامسة يمارس نفس صلاحيات نابليون . انما المهم ان هذا التحوير والتجديد رضي به الشعب في ٢٨ ايلول ، فصادق عليه ثمانون بالمئة منه ؛ وكذلك اجعت تقريباً ، كل المستعمرات الفرنسية ، الا واحدة وهي غينيا ، على تأليف اتحاد فرنسي قوي ، في ظل الدستور الجديد . كل اصلاح عميق وجذري يتطلب ايماناً يملك شواعر النفس ، ويذهب بها اذا اقتضى الامر الى الموت . ان شعوباً كثيرة آمنت برجل ، فتبعته بلا هوادة ، ولم تشعر بوطأة الحن والحرامان . هذا الايمان هو سر بشارة السيد المسيح الصالحة ، ودعوة محمد رسول الاسلام ، واتباع الجماهير لموسى والاسكندر ونابليون وهتلر وموسوليني . ان الشعب آمن بهؤلاء الرجال ، وبرسالتهم ، وبفاعلية هذه الرسالة على اصلاح ما فسد . والشعب الفرنسي آمن بديغول ، وبرسالته التاريخية ، فتبعه في طريق الإصلاح . ان مقدرات بين يدي رجل آمن به الشعب هي مقدرات لا شك ناجحة !

٧ - رسالة دائمة

خاتمة المطاف ، في هذا المقال ، هو تبيان رسالة فرنسا الدائمة . وليس من ينكر ان محناً صعبة مرت بفرنسا ، فاعتكر الافق بالغيوم ، واضطربت الثقة في النفوس ، لكن فرنسا كانت تعود دوماً ، فهي لا تسقط الا لتنهض ، ولا تتواضع الا لترتفع . ونحن لا نعالى ولا نتعصب ، انما نحب فرنسا ، وهي قد اجزلت العطاء في بلادنا واطعمت جياع الجسد ، واشبعت جياع الروح ، وقادت امتنا ، وهي لا تزال فتية ، الى مراقي التمدن والعلم ، كما شهد المناهضون والمحاربون ؛ والمحبة تدفع الى استزادة المعرفة ، والمعرفة يحكم فيها التاريخ الصادق ، وهو جزيل الثناء على رسالة فرنسا الدائمة ، فسجلاته حافلة بصفحات لامعة من رسالة كانت في الماضي ولا تزال في الحاضر ، رسالة حضارة ورفي . ففرنسا هي بين الامم في الطليعة ، تتقدم دوماً ، وحين تكسل في المسير وتسقط ، يرسل الله لها المنقذين والمصلحين ، فتتابع الطريق ، بلا ملل ، تبسط من آيات ادبها الجوامع ، ومن سحر فنها الروائع ، فيدهش البشريون ، فيسيرون وراء موكبها يتبعون الخطى وهم بلا شك في ذلك لناجحون .

من تراث العرب الخالد

بقل
الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني
عضو رابطة الادب الحديث بالقاهرة

روى مروان بن ابي حفصة الشاعر قال : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً وجعل لمن يأتي به مالا . فحدثني معن باليمن انه اضطر لشدة الطلب الى ان نام في الشمس حتى لوحت وجهه ، وخفف عارضيه ، ولبس جبة صوف غليظة ، وركب جملا من الجمال الثقالة ، وخرج عليه ليمضي الى البادية . وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسناً ، فخاف . فاغتاظ المنصور وجدد في طلبه . قال معن : فلما خرجت من باب حرب - وهو احد ابواب بغداد - تبعني عبد اسود ، متقلداً سيفاً ، حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخه وقبض علي ، فقلت : مالك ؟ قال : طلبك امير المؤمنين . قلت : ومن انا حتى يطلبني امير المؤمنين ؟ قال : انت معن بن زائدة . فقلت : يا هذا ، اتق الله ، واين انا من معن ؟ قال : دع هذا عنك فانا والله اعرف بك منك . فقلت : فان كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي باضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي ، فخذوه ولا تسفك دمي . فقال : هاته . فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى اسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك . فقلت : قل . فقال ان الناس يصفونك بالجود ، فاخبرني ، هل وهبت قط مالك كله ؟ فقلت لا ، قال فنصفه ، قلت لا ، قال : فثلثه ، حتى بلغ الى عشره ، فاستحييت وقلت اظن اني فعلت هذا ، فقال ما اراك فعلته ، وانا والله واجل ، ورزقي من ابي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته الف دينار ، وقد وهبته لك وهبتك لنفسك ، وجودك المأثور بين الناس ، لتعلم ان في الدنيا من هو اجود منك ، فلا تعجبك نفسك ، ولتحتقر بعد هذا كل شيء فعلته ، ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالجوهر في حجره ، وخلص خطام البعير وانصرف ، فقلت : خذ ما وهبته ! اياك فاني عنه غني ، فضحك وقال : اردت ان تكذبني في مقالي هذا ، والله

لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمناً ابداً ، ومضى ! فوالله ، لقد طلبته بعد ان
 أمنت ، وبذلت لمن جاءني به ما شاء . فما عرفت له خبراً وكأن الارض
 ابتلغته . قال مروان بن ابي حفصة : ان سبب رضى المنصور الخليفة العباسي
 عن معن بن زائدة كان يوم الهاشمية ، حيث كان ولم يزل مستتراً ، فلما
 وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن ، وهو متلثم ، فانتضى
 سيفه وقاتل ، فأبلى بلاء حسناً وذب القوم عنه ، ثم جاء المنصور وهو
 راكب على بغلة لجامها بيد الربيع فقال له : تنح ، فاني احق بلجامها
 في هذا الوقت ، فقال المنصور : صدق فادفعه اليه ، فاخذه ولم يزل يقاتل ،
 حتى انكشفت تلك الحال ، فقال له المنصور : من انت ؟ الله ابوك ، قال
 انا طلبتك ، يا امير المؤمنين ، معن بن زائدة ، قال قد امنك الله على نفسك
 ومالك . ومثلك يصطنع . ثم اخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه . ثم دعا
 به يوماً فقال : اني اهلتك لامر كيف تكون فيه ؟ قال كما يحب امير
 المؤمنين . فولاه البصرة ، وتوجه اليها ، فبسط فيهم العطاء حتى اسرف .
 قال مروان : وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور ، فقال له بعد
 كلام طويل : قد بلغني عنك شيء لولا مكانك عندي ورأيي فيك لغضبت
 عليك . قال وما رابك يا امير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرضت لسخط . قال
 اعطاؤك لمروان بن ابي حفصة في قوله فيك : —

معن بن زائدة الذي زادت به شرفاً على شرف بنو شيبان
 ان عد ايام الفعال فاما يوماً يوم ندى ويوم طعان

قال : والله ، يا امير المؤمنين ، ما اعطيته ما بلغك لهذا الشعر . ولكن
 اعطيته ما اعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
 فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهند وستان

قال : فاستحى المنصور ، وقال : انما اعطيته لمثل هذا القول ؟ قال :
 نعم يا امير المؤمنين ، ولولا مخافة الشنعة لامكنته من مفاتيح بيوت الاموال
 واجتهت اياها . فقال المنصور . لله درك من اعرايي ، ما اهون عليه ما يعز
 على الناس واهل الحزم .

وروى الفضل بن الربيع قال : رأيت مروان بن ابي حفصة قد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الحاسر وغيره ، فأنشده مديحاً ، فقال له : من انت ؟ فقال له : شاعرك ، يا امير المؤمنين ، وعبدك مروان بن ابي حفصة . فقال له المهدي : ألسنت القائل :

افئنا بالمدينة بعد معن مقاماً لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جروا برجله . قال فجزوا رجله حتى اخرج . فلما كان في العام المقبل تلتطف ، حتى ادخل مع الشعراء ، وانما كانت الشعراء تدخل على الخليفة في كل عام مرة ، فمثل بين يديه وانشده بعد رابع او خامس شعر :

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تحلظ بالحياء دلالها
نادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الضى فأمالها

قال فانصت له حتى يبلغ لى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها باكفكم او تسترون هلالها
او تجحدون مقالة عن ربه جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية بترائهم فاردتم ابطالها

قال فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه ، حتى صار على البساط اعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مئة بيت ، فامر له بمئة الف درهم . فكانت اول مئة الف اعطيها شاعر في ايام بني العباس .

ميزان المطر : بلغ مجموع ما هطل من المطر ٥٣ سنتيمياً لغاية ١٦ شباط ١٩٥٩ مقابل ٧٣ سنتيمياً من التاريخ نفسه سنة ١٩٥٨

اغاني الربيع

بقلم
الآنسة سعاد حنا الهاشم

عندما حل نصف الليل وابتلع السكون ضجيج المساء ، تحت سديانة
جبارة ، شاخ الزمان على جذعها ، وهي لم تزال تهب الروابي من خضرتها
افتناناً ، وتحضن باغصانها الظلمة كل ما يمثل على مسرح الفقر من ادوار ،
هناك جلس فتى فحيل كورقة من خريف بلادي ، او كنسمة من وادياها ،
يرقب شيخاً اشيب ظهر بين التلال ، تلفه امواج الضباب ، وتدفق الحياة
من حركاته وسكناته شلال قوة وجلال . ما اصبح الشيخ قبالة ذلك الفتى
حتى نهض وتقدم اليه ، يتراقص على شفقيه الف سؤال وتسبح في عينيه مئات
الرؤى . بادره قائلاً : انا اعرف يا سيدي من انت ، لقد اوحى اليّ الصنوبر
على التلة البيضاء ، انك الحارس الليلي في وادي احلام النيام .
قد سافني نداء البعيد اليك ، لاستفسر منك عن كلمات استقرت في
ذاكرتي دون ان يعيها عقلي ، كنت قد سمعت الريح ترنمها في الغابة ، لعلي
اجد لديك تفسيراً لها .

بعد هنيهة صمت ، تنجح الشيخ وبصوت كالرعد البعيد فوق البحار ، سأل
عما يجول في خاطره ، ويبلبل افكاره ، ارتعش الفتى وقال : سمعت الريح
ترنم في الغابة وتقول ان ما لجديد بالجديد تحت الشمس ، مع ان في كل
فجر يولد كثير المستحدثات . هل اصدق ما رنمته الريح ؟ - اجل ليس ما
هو بالجديد على المعرفة جديد في حد ذاته ، كم من قديم قدم الزمان يصبح
حديثاً عند اكتشاف الانسان له . خذ مثلاً اكتشاف الطاقة الذرية واستعمالها
في الاغراض السلمية والحربية ، انها لمن اهم مستحدثات هذا العصر ، مع ان
وجودها كان منذ كان الوجود .

- وهل في اعماق النفس ايضاً لا شيء جديد كما هو تحت الشمس ؟
- كلا يا بني ، ان في اعماق النفس من الحديث ما لا نهاية لحداته ،
ومن الجديد ما لا نهاية لجذته ، انها ليست كباقي الاشياء ، انها قوة ان

انطلقت الى العلاء حلت فوق الشمس ، وان هبطت الى اسفل غاصت حينما لا قرار .

خذ مثلاً خريز المياه : اليس في كل مرة نسمعه يختلف وقعه على الاذن ، مع ان الخريز هو هو ، لكن التنوع بالوقع يحصل بحسب الحالة التي تكون فيها النفس . فهي تعطي القديم القديم جدته من الجديد الذي في ذاتها .
- سمعت الريح تزعم في الاودية العتيقة ، ان الاماني اكبر من البحار ، واكبر من السماء نفس الانسان ... أصدق ما رثته الريح ؟

- لدينا كثير من الادلة على حقيقة قول الريح يا بني ، فلو جئت ابردها جميعها لضاق الليل عنها ولم يسمعها . لكني اكنفي بوحدة منها .
ان القدير الذي يملك الكون باجمعه ، لم يجد في كل ما يملكه اكتفاءً ، بل طلب من الانسان ان يعطيه قلبه ، فقال : « يا بني اعطني قلبك » .
ولماذا ، يا بني ، الانسان هو ابدآ دائم الاضطراب ، لا يستريح ، دائم العطش ، لا يرتوي ؟

الا ترى انه لو لم يكن قلبه اوسع من السماء ، لما كان حلق في افلاك الكواكب ، يهيم في لانهايتها ، يبحث عن غريب اسرارها ...
ثم للمم الشيخ ذبوله من حوالبه وهم بالانصراف ...

صرخ الفتى : « ارجو الا تنصرف قبل ان تسمع كلمتي التي لم تغنّها الريح بعد .

- احتفظ بها الى الغد الذي سيجعلها كبيرة قوية » .
واختفى بين الضباب ...

عيد الميلاد في بلاد الدولار

بقلم
الاب عادل ايليا المخلصي

ثبت هنا هذه المقالة التي اتتنا متأخرة عن ميلادها ، وهي لاختينا حفرة الاب عادل ايليا المخلصي ، الذي وصل دير القديس باسيلوس (ميثون - ماس) قبيل عيد الميلاد من السنة الفائتة ، وراعه ما شاهد من مظاهر التقوى والاحتفال بعيد الميلاد المجيد في تلك البلاد العامرة . وها هو يروي لنا تأثيراته .

بلاد الدولار ! هذا ما يتبادر الى ذهننا عند ذكر الولايات المتحدة الاميركية ، فنتصور الناس فيها دائبين على العمل يصلون الليل بالنهار لتحصيل الدولار . بل يحال لنا ان الدولار هو محور الحياة في هذا الجزء من العالم الجديد ، وان القلب والروح يتقلصان ويختفيان امام مقتضيات السعي الخيث وراه « مئون » اله المال ...

قد يكون تفكيرنا هذا صحيحاً الى حد بعيد . انما للطبيعة نظم واحكام ولا بد لها ان تنتقم بطريقة خاصة بها عن كل اجحاف مجفها . فما شمع جبل الا وانخفض بقربه واد . وهكذا نرى جزءاً كبيراً من الشعب الاميركي ، لا سيما في بعض الظروف الخاصة ، مندفعاً وراء التقوى واعمال البر والاحسان فتعوض تقواه العميقة عن ماديته المفرطة . بل الاخرى ان يقال ان البعض يقطعون في مضمار التقوى والمعروف اشواطاً تغطي تقصير اخوانهم ، وهكذا يحفظ التوازن في الجسم الاجتماعي الواحد بطريقة رائعة . تذكرنا هذه الحقيقة بقول الرسول بولس : حيث كثرت الخطيئة فهناك طفت النعمة .

وتجد الروح في عيد الميلاد كل سنة ظرفاً من اجل الظروف المؤاتية ، فتحاول فيه ان تتفوق على المادة ، بل ان تسخرها لظهور فرحها الداخلي بالحدث التاريخي الفريد ، ميلاد يسوع الاله والانسان . فاذا الزينة الخارجية في كل مكان مرآة تتجلى فيها بهجة الروح . انوار مشعة على واجهات الخازن والمباني العامة وعلى الاشجار في المنتزهات ، واغان واحاديث عن

ميلاد المسيح في الراديو والتلفزة ، وصور ومقالات في الصحف والمجلات ، كل هذه المظاهر وغيرها تخلق جواً مشبعاً بحقيقة « الميلاذ » يعيش فيه الاميركيون اياماً واسابيع قبل حلول العيد ، وينسجم فيه الكثيرون اروع انسجام حتى انك لتسمعهم في كل مكان يرددون ترانيم العيد مبتهجين بذكرى الحدث السعيد .

ولكن ابناء المادة ، ابناء هذا الجيل هم ، كما قال السيد المسيح ، احكم من ابناء النور في جيلهم . فالتجار مثلاً يحاولون ان يستغلوا عيد الميلاذ احسن استغلال لانعاش تجارتهم ، فيبالغون في تزيين محازنهم في مناسبة العيد ليجذبوا الناس اليها . فيكون موسم العيد لهم بمنزلة غلة سنة كاملة . فلا عجب ، والحالة هذه ، اذا شاهدنا اليهود يسابقون النصارى في عرض معالم الزينة والابتهاج ، وما غايتهم الا استغلال زبائنهم بغض النظر عما ينطوي عليه العيد من ذكريات سامية . وتحل مكان المغارة الوداعة الخاشعة شجرة الميلاذ زاهية باتحف للعب وايهج الانوار ، وما شجرة الميلاذ على حسنها ورونقها الا بقية من رواسب الوثنية القابرة . ويرتكز اهتمام ربة العائلة على الحلويات وديك الحبش المحشي بدل صلاة العيد . ويتربع « بابا نويل » او سنناكلوس في اهبى المجالس ، فلا يترك مكاناً للطفل الالهى صاحب العيد . ويغيب عن بصيرة الناس . ان سنناكلوس موزع الهدايا في العيد لم يكن في البدء وفي مخيلة من استنبطه سوى القديس نيقولاوس الصانع العجائب وموزع النعم . والى هذا يشير اسمه . اجل ، لقد كاد عيد الميلاذ يفقد معناه وروحته !

فتحت الكنيسة الكاثوليكية في اميركا عينها على هذه الحقيقة المؤسفة : تحول عيد الميلاذ الى عيد وثني بالنسبة الى الجزء الاكبر من الشعب . تنيحت الى اصل الداء فعمدت الى استنباط الدواء . وبدأت منذ عدة سنين حملة موفقة « لتنصير » عيد الميلاذ من جديد وتحويل نظر المؤمنين الى جوهر حقيقته السامية . وبادرت المعاهد الدينية ، ولاسيما المدارس الاكاديمية ، الى منافسة التجار في الزينة الخارجية لتجذب الناس الى داخل الكنائس امام طفل المغارة الوضع حيث ينتظروهم اله الحب السجين ، وحيث يتوفر لهم احياناً كثيرة ان يسمعوها الى مشاهير الرعايا يشيدون بمعاني هذا العيد الشريف وبالامثلة التي يجب ان يتعلمها منه العالم ، امثلة التواضع والمحبة والسلام .

ولقد اسعدني الحظ هذه السنة ان اشهد عيد الميلاد في بقعة من بقاع لبنان انتقلت من ربوع الشوف سفيرة خير وسلام وحطت على رابية من مقاطعة ماساشوستس في الولايات المتحدة . فشاهدت الروح الشرقية والذوق الشرقي يتجاوبان مع ما يصبو اليه الشعب الاميركي من روحانية في ظرف كمثل عيد الميلاد . كان ذلك في دير القديس باسيليوس في ميثون - ماس (. Methuen — Mass) ، حيث شرع الآباء المحلصيون منذ نحو خمس سنين في تنشئة جيل جديد من الكهنة لتأمين الخدمة الروحية للمهاجرين الشرقيين في البلاد الاميركية . وقد ابى سكان الدير ان يتخلفوا عما جاوزههم من مؤسسات ومعاهد ، فعمدوا الى اخذ قسطهم من المساهمة في اظهار الناحية الروحية من عيد الميلاد . ولقد استجقت مساهمتهم احسن تقدير ، وذاع صيتها في تلك الناحية وصار الناس يتوقبونها سنة بعد سنة .

في ٢٠ كانون الاول ، بعد شهرين من الاستعداد ، اضيئت « انوار الميلاد » في دير القديس باسيليوس ، وفتحت المغارة للزائرين . وكان ميعاد الزيارات كل يوم بين الساعة الخامسة او السادسة مساء حسب الظروف حتى الساعة العاشرة في الليل . ودام هذا العرض حتى اليوم السادس من شهر كانون الثاني الحالي .

يدخل الزائر في سيارته الى ارض الدير بعد ان استدل عليه من آلاف الانوار المتألثة من كافة جنباته فكأنه بها قطعة من سماء لبنان في اروع ليلة من ليالي الصيف . وتواكب الانوار زائراً من على جانبي الطريق الملتوية مرحبة مهللة . وتبادر الى اذنيه اصداء من انغام الميلاد لمشاهير الفنانين العالميين تذيبها مكبرات الصوت من على شرفات الدير . ويقع نظر الزائر حال وصوله امام الدير على تمثال القديس باسيليوس الكبير منتصباً بين الثلوج ، وقد اسند ظهره الى شجرة متألثة بشتى الانوار . ويلقي الزائر نظرة اخيرة ال واجهة الدير وقد ابرزت تقاسيمها الهندسية خطوط النور وانعكست الوانها على الثلوج . ها قد لذعه البرد القارس بعد ان نزل من سيارته الدافئة ، فلا عجب اذا رأيناه يركض مع صحبه نحو الدير حيث يجد الدفء لجسمه والنور لعقله والسلام لقلبه .

تبدأ الزيارة بالكنيسة . هناك على طاولة امام المذبح عرض تمثال الطفل

الاهلي المولود ، وقد وجهت نحوه الانوار الخضراء رمزاً للامل والسلام ،
وشعت امامه مئات الشموع صغيرة وكبيرة يضيئها المؤمنون تعبيراً عن عبادتهم .
وقد لا يخلو وقت من وجود احد المؤمنين الخاشعين على المراكع الخشبي الطويل
امام صورة الاله المولود .

ويدخل الزائر ، حال ولوجه اعتاب الكنيسة ، في جو جديد من الرهبة
والخشوع . فيتابع زيارته بصمت وهدوء ، وكأنه لا يزال في المعبد . فلا
صراخ ولا مزاح ولا تدخين طيلة الطريق ، بل جو عابق بالتقوى او مفعم
بجب الاستطلاع .

يمر الزائر بعد الانتهاء من الكنيسة في باحة الدير الداخلية حيث تعرض بنوع
متواصل على الشاشة البيضاء قصة الميلاد في مشاهد ملونة تستغرق ١٢ دقيقة .
ثم يلج في دهليز متعرج طوله نحو ٤٧ متراً تغطي جانبيه وسقفه الاوراق
الملونة كأنها الصخور الطبيعية ، وتضيئه انوار خافتة خضراء وصفراء تزيد في
رهبة الموقف استعداداً للمثول امام طفل المغارة الوضع . ويشاهد الزائر
عن يمينه قبل ولوجه المغارة « قافلة » الجوس ، ملوك المشرق ، وهم ثلاثة ،
يتبعهم غلام واحد ماسكاً بيده زمام الجمل المثقل بشتى انواع الهدايا . اما
المغارة فهي اجمل ما يراه الزائر في كل زيارته ، نظراً لما فيها من
الطبيعي البعيد عن التصنع : الطفل يسوع مستلق على العشب اليابس وفتح
يديه للقادمين ، وقد انطبعت على محياه الاهلي ابتسامة عطف وتشجيع . والى
جانب الطفل يسوع مريم ويوسف راكعين في خشوع وبقربها رعاة ثلاثة
واقفين في ذهول ، وحولمهم الحيوانات في شتى المواقف الطبيعية الرائعة .
وقد يستلفت انتباه الزائر مشهد بعض الجداء غافية في زاوية من زوايا
المغارة بينما انتصب واحد منها في مرتفع عالي الرأس ، حاد البصر ، كأنه
يتشوف الى البعيد البعيد ليستطلع ما تحبئه من اسرار هذه الليلة الرائعة ...
ولقد نشرت بعض الصحف المحلية في السنة الماضية ان مغارة القديس
باسيليوس كانت اجمل مغارة شوهدت في كل الناحية .

واذا لم يكن الجمع كبيراً في المغارة يتاح للزائرين ان يركعوا حيناً
امام الطفل الصغير . ثم يتابعون سيرهم نحو المعرض الديني المتفرع الى غرف
ثلاث : في الغرفة الاولى انواع مختلفة من التماثيل والمسابع والايقونات . وفي

الغرفة الثانية مجموعة من الكتب الدينية للصلاة او المطالعة . ويختم الزائر جولته في الغرفة الثالثة ، غرفة « الطقوس » . وفيها قد عرضت بعض الكتب والاواني والملابس الكنسية التي تعطي الزائر الغربي فكرة عن الطقوس الشرقية . ومن اهم ما عرض فيها ايقونات بيزنطية قديمة وحديثة ، وكتب طقسية باللغات اليونانية والعربية والسريانية ، وقربانة للقداس مع الطابع الخاص لطبع القربان ، واندميسيون وتاج وعكاز وحلل كهنوتية ثمينة . ويلزم الغرفة الاخيرة من المعرض بنوع دائم كاهن من كهنة الدير لاعطاء الشروح الضرورية ولمباركة الاغراض التقوية التي يحملها المؤمنون . ومن حميد عاداتهم في اميركا انهم يطلبون الى الكاهن ان يبارك لهم كل شجعة او صورة او ايقونة او صليب او كتاب ديني يقتنونه . وقد تدفعهم التقوى احياناً الى ان يركعوا ويطلبوا بركة الكاهن قبل ان يغادروا الدير ، وكلهم السنة تلهج بروعة ما شاهدوا .

اما عدد الزائرين في الليلة الواحدة ، فيتراوح بين الخمس مئة والاربعة آلاف شخص ، حسب الايام وحسب تغيرات الطقس . ولقد كان يوم الاحد في ٢٨ كانون الاول اجمل ليالي هذا الموسم ، اذ كان القمر لا يزال بدأ ، وكان الجو صافياً والطقس دافئاً اي فوق الصفر المئوي بدرجتين او ثلاثة ، بينما وصلت الحرارة في الايام السالفة الى الدرجة العاشرة والخامسة عشرة تحت الصفر . اخذت الثلوج تذوب في تلك الليلة القمر ، وتشجع الناس للخروج من بيوتهم . فقدّر عدد الزائرين الذين اموا دير القديس باسيلوس في تلك الليلة باربعة آلاف شخص .

وبين اشهر المزارات في الناحية دير القديس فرنسيس للآباء الفرنسيسكان في مدينة وست اندوفر (ماس) West Andover — Mass وهو يبعد عن مثنون نحو ٢٠ كيلومتراً وفيه من الانوار ما يزيد على ثلاثين الف لمبة . بينما لم تزد انوار دير القديس باسيلوس في هذه السنة على تسعة آلاف لمبة . اما دير الآباء الاوبلا (Oblats) في هدسون نيوهامشير Hudson — N. H. الذي يبعد عن مثنون نحو ١٥ كيلومتراً ، فقد اشتهر بالصليب الكهربائي

الكبير الذي يعلو واجهة الكنيسة . وقد بلغ علوه هذه السنة نحو ٢٠ متراً .

ولا بد من الإشارة في ختام كلمتنا هذه الى ان الكنيسة الكاثوليكية في اميركا تجتهد في مثل هذه الظروف وهذه المظاهر وسيلة ملائمة لتستحث تقوى ابنائها ولتوقظ ضمائرهم ولتعطي لباقي الشيع المسيحية فكرة عن عظمتها وروعيتها خارج المعابد وداخلها . ولقد شاهدنا عدداً كبيراً من مختلف الطوائف والشيع يزورون دير القديس باسيليوس في هذه المناسبة . وسعنا من بعضهم انهم قد شعروا لأول مرة في حياتهم بروعة الديانة الحقّة امام تماثيل الطفل المعروض في الكنيسة او في المغارة . فكان لهم عيد الميلاد نقطة انطلاق نحو حياة جديدة في التقوى وخوف الله .

مشون في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٥٩

قصة البربارة على لسان فلاح

بقلم الاستاذ طر فاطر

للبربارة حكايات يرويها اللبنانيون في سهرة عيدها ، وقد تباينت هذه الحكايات في التفاصيل ، ولكنها كادت تتفق في الجوهر ، فهي تدور جميعاً على ان القديسة قد عذبت لاعتناقها النصرانية ، واستشهدت اخيراً بيد ابيها القاسي الذي عاقبته السماء قدراً ، وهو في ساحة الاعدام ، بصاعقة اوردته حتفه . في قرية من قرى لبنان اجتمع اهلها ليلة عيد البربارة في بيت بوطنوس وهو فلاح جليل القدر ، يعيش في مجبوحة ، فكان ممن يصح فيهم المثل اللبناني القائل : « فلاح مكفي سلطان مخفي » .

قدر لبوطنوس ، وهو حدث ، ان يتعلم عند كاهن القرية فك الاسم وتعليقه ، وبعض صلوات طقسية بالكرشوني ، فاصبح عند اهل قريته المرجع الاوحد لكل ما يحتاجون الى كتابته ، او قراءته ، من رسائل ، او معروضات ، او صكوك ، او حسابات ، مع اصحاب الدكاكين والتجار ، ومن لهم علائق معهم من اصحاب الاعمال ، فاصبحوا جميعاً يحبونه ويحيطونه بمظاهر الاحترام والتقدير .

سهرة في بيت بوطنوس

وحلت ليلة البربارة في احدى السنين ، وكانت ليلاء ، تلبدت فيها السماء بالغيوم ، مندرة بالمطر الغزير ، فتوافد القوم على بيت بوطنوس ، لقضاء السهرة فيه ، والاستمتاع بدفء موقدته ، التي يعهدونها ابدأ عامرة بالنيران ، وللتلذذ بمحدث صاحبه الشيق ، وبما اعتادت زوجته ام طنوس ان تعده لهم في مثل هذه الليلة من الزلابية ، والمعكرون ، والعوام ، فيأكلونه مريئاً ، متمسكين ببركة العيد ، ويقضونها سهرة ساهرة ، حافلة بانواع المباحج والافراح .

زيارة عرندس

وبينا كان القوم تلك الليلة في هرج ومرج ، واذا بموكب « عرندس » المعروف « بالبسية » وكله من الصبية والفتيان المراهقين ، يدخلون عليهم ، وهم يرددون اناشيدهم على صوت الدفوف والدربكات ، وقد تنكروا بملابس مستغربة ، وسودوا وجوههم بالسناج ، او غطوها باقنعة تخفي هوياتهم ، وبعد ان رقصوا ورددوا من الاناشيد ما حفظوه عن اسلافهم ، ومن الادعية والتهافتات ما خيل اليهم ان السامعين يستطيبنونه ، ولا سيما ام طنوس صاحبة البيت المعهود اليها في تحافهم بالعطاء على ما فطرت عليه من سخاء ، خرجوا واصواتهم تتعالى في الفضاء مرددين القول : « كليله فوق كليله ، صاحبة البيت كريمة ! عود فوق عود ، صاحبة البيت من اهل الجود » .

الاستفهام عن بربرة وتقاليدها عيدها

وعاد شيء من الهدوء الى البيت بعد خروج الموكب ، وكان بعض القوم يفكرون في من هي بربرة ؟ وما هو الاصل في هذه التقاليد المرعية في لبنان ، من قديم الازمان ، في يوم عيدها ؟ فعن لاحدهم ان يسأل بوطنوس ما يعيه عن ذلك لما اشتهر عنه من اتران وتعقل ، وخبر فيه من طلاوة حديث وسعة اطلاع ، اكتسبها من مرافقته الكاهن في الكنيسة ، وتصفحه بعض كتبها ، ومما كان يسمعه في السهرات والمجالس من الشيوخ الذين تقدموه . وللحال عدل بوطنوس جلسته ، وفتل شاربيه ، وتحنج وقال وهو يجيل ناظريه في الحاضرين : هذا سؤال هام كثيراً ، لم يخطر ببالي قط وانا في عهد الشباب ، وطالما طرحته على المتقدمين من جدي ووالدي وغيرهما من شيوخ القرية ، فكان جل ما اجتمع لدي حول هذا الموضوع واستخلصته من هنا وهناك ما انا محدثكم به في هذه الليلة :

بربرة من بنات بلادنا

قال بوطنوس ، وقد ارفه القوم كلهم الاذان لسماعه :
اختلف الرواة في وطن القديسة بربرة ، فنسبها كل الى بلاد ... ولكن الاصح ما كان يؤكد لي احد الكهنة الاجلاء انها من بنات لبناننا العزيز ، ولدت بالارجح في قرية كبيرة بجوار بعلبك المعروفة بمدينة الشمس

والمشهورة بقلعتها الجبارة .

وكان على بعلبك يومئذ والٍ روماني يضطهد النصارى عملاً بالوامر الواردة اليه من امبراطور رومية الذي لم احفظ اسمه لصعوبة لفظه (هو مكسيمينس التراقي) .

ذلك ان النصرانية كانت تنتشر بسرعة وتتغلغل حتى في صفوف رجال الحكم ، فخاف الامبراطور ان يستفحل امر هؤلاء ، فينهضوا للاطاحة بعرشه وتاجه ، وينزعوا الصولجان من يده ، لذلك صمم نيته على قتل كل متنصر حتى لو كان من اقرب المقربين اليه .

من هو والدها

وكان والد بربارة واسمه صعب ايضاً (ديوسقورس) وطنياً وافر الثروة يمتلك الاراضي الواسعة ويتمتع بنفوذ كبير وجاه عريض بين قومه ، وقد احب الرومان واعجب بقوتهم ، فتقرب من ممثلهم واسمه غريب مثله (مرقيانس) ، واخذ يكثر من زيارته في بعلبك ويواصله بالهدايا ، فعينه ممثلاً له لدى المواطنين من ابناء قريته والقرى المحيطة بها ، واخذ الوالي يتردد على قصره ويعجب بما عنده من تحف وبما انعم الله به عليه من عقارات ومزارع وغللال ، وبمن له من اعوان ومؤيدين ، وفي بيته من اجراء واماء ومستخدمين .

وحملت ابا بربارة صداقته مع الوالي على الاهتمام بتوطيد الامن في منطقته ، والوقوف بالرصد لكل من يتناول ولو بلسانه فقط على المحتلين ، وعلى محاربة النصرانية عملاً باوامر الامبراطور ، فكان كلما درى بمعتنق لهذا الدين الجديد يعتقله على اعتباره اياه خائناً لوطنه ، ويرسله حالاً الى الوالي لينزل فيه ما يراه حقيقاً بمثله من عقاب .

الحاكم عاشق وهان

وكان للوجيه البعلبكي فتاة وحيدة هي بربارة ، جمعت كل محاسن الخلق والخلق ، رآها الحاكم في احدى زياراته لابيها فتمسقها ، واخذ يخلق كل يوم سبباً للاتيان الى منزلها ، محاولاً استئلتها اليه ، ولكنه لم يجد منها الا نفرة وصدأ .

وبسبب ذلك ازداد الحاكم بها تعلقاً وولوعاً ، وسعى مرة في ابعاد
ابنها عن منزله بمهمة رسمية تستغرق بضعة اسابيع ، راجياً ان يخلو له معها
الجو ويتمكن من اجتذابها اليه .

وتظاهر ذات يوم انه ذاهب الى الصيد وقصد الى قريتها ، وباغت
الفتاة في غرفتها وكشفها حبه ورغبته في الاقتران بها - وكان ذلك يعد شرفاً
وسيماً لبربارة لا تحلم به فتاة غيرها - واقترب منها يريد معانقتها ظاناً انها
ستستسلم اليه راضية مختارة ، وما اكثر ما خاب ظنه ، لانها ابعدته عنها
اولاً بلطف ، واذا رآته لا يرعوي انتهرته وتهددته بناداة عبيدها ليخرجوه
بالقوة من غرفتها .

جواسيس الوالي

عاد الوالي من بيت بربارة ساخطاً نأثر الاعصاب ، ولكنه لم يقوَ على
كبح جماح حبه ، فاستنبط سبباً آخر لزيارة قصر الفتاة ، وحاول الاجتماع
بها ، ولكنها كانت قد اختفت ، حين عرفت بمقدمه ، في احد السرايب ،
وارسلت وصيفتها تقول له ان لا يطمع بنيل يدها ، لانها لن تتزوج من
اي انسان وقد نذرت بتوليتهما لله .

فعاد الوالي وهو لا يصدق بما سمع ، وظنها واقعة بحب احد الفتيان من
ابناء قومها ، ووجه اليها في اليوم التالي نفرأ من جواسيسه يفتشون منزلها
ويحصون عليها حرركاتها وسكناتها ، واذا بهؤلاء يعودون اليه بعد ايام
ويؤكدون له ان الفتاة تستقبل في قصرها جماعة من المشعوذين النصارى ،
الذين لا عمل لهم الا التآمر على سلامة الدولة ، مرجحين له انها اعتنقت
مذهبهم ، واصبحت مثلهم من الخونة الذين يستحقون العقوبات القانونية المحتموم
بها في اوامر الامبراطور .

ابو بربارة يريد قتلها

وعاد ابو بربارة من رحلته ، وجاء لمقابلة الوالي واطلاعه على نتائجها ،
فلقي منه وجهاً كالحماً ، وابلغه ما نمي اليه عن نصرانية ابنته ، فوقع عليه
ذلك النبأ وقوع الصاعقة ، لما داخله من خوف على سمعته ومر كزه وحياته ،
لان النصرانية كانت عند الوثنيين من ابناء ذلك العصر رجساً ومهانة وخيانة

من اقبح الحيوانات ، يستحق عليها منتحلها شر العذابات والميتات .
وجاء الرجل الى منزله ، وهو على غير هدى ، وما وقعت عينه على
عين ابنته حتى اخذ يستنطقها وهو يهدر كالبعير لشدة حنقه ، فاقرت له
بنصرانيتها غير هيابة ، وباستعدادها لتحمل اي عذاب في سبيل دينها الحق .
فهجم عليها يريد قتلها ولكنها هربت منه الى ظاهر البيت ومشت في حقل
مزروع قمحاً وهو وراءها يهدد ويتوعد ، واذا بالسماء تتدخل لحمايتها فتطول
السنابل وتتكاثر وتلتف عليها فتغطيها وتمنع والدها من الاهتداء اليها .
وظهرت بعد ساعات بين صخور ناشزة في اول الجبل ، وكان ابوها
لا يزال يطاردها ، فتوالت عنه بغتة . الا ان الصخور كانت تنشق امامها
وتفسح لها طريق الفرار والتخفي .

وهنا شوهد بعض السامعين من اضياف بوظنوس يذرفون الدمع ،
وغيرهم يعظمون الله وعلى وجوههم سماء الدهشة . وكان بوظنوس قد تعب
من الكلام فطلب قطعة من الزلابية وشربة ماء وارتاح هنيهة ، بينما كان
الحاضرون يلحون باستطراد حديثه فنزل عند طلبهم قال :

برابرة في منقع العذاب

ولم يطل غياب برابرة لان كاهن النصارى كان عارفاً بمكمنها فيكان
يأتي اليها في الخفاء فيعظها ويشددها . واخيراً طلب اليها المثلول لدى الوالي
والجهر علناً بدينها ، ولو ادى بها ذلك الى الاستشهاد ، لأن في اراقة دمها
ما يعود عليها بريح الملكوت السماوي وعلى الكنيسة بالتأييد والشهرة .
فاطاعت برابرة الامر واستقبلها الوالي اولاً بعطف وائناس ، مشفقاً على جمالها
وصباها ، باذلاً قصاره في تحويلها عن عنادها ، واستألتها اليه ، وجاء ابوها
يساعده في ذلك ، ولكنها كانا معها كمن يضرب على حديد بارد .
وبعد ان فشلت كل الحيل والمسااعي عمد الوالي الى الوعيد والتهديد .
واذ كان قد فشا سرها ولم يعد في استطاعته الا تنفيذ امر الابهراطور فيها ،
امر اولاً بطرحها في السجن ، واخيراً اذن بتعذيبها فجلدت بالقضبان ،
واعصاب الثيران ، وهشم جسمها الغض بالكلاليب تارة ، وألهب بالمصابيح
المشعلة طوراً ، ولكن الله كان يظهر لها ، ويعزيها ويشفي جراحها ، فتعاد
الى السجن سليمة معافاة .

الخوارق تتوالى وعدد النصارى يزداد

واستدعاهما الوالي بعد ذلك الى قصره ، واذا هي لاتزال مستمتعة بكل جمالها ، فحدثته نفسه بالاعتداء على عفافها ، ولكنه ما كاد يقترب منها حتى اوقفته قوة علوية عند قدميها فاقد الرشد ، ومكنتها من العودة الى السجن وهي مجلبة برداء الطهر والبرارة .

وبعد ان افاق الوالي عدت تلك الخوارق من اعمال السحر ، فداخله الحق على بربراة وامر بان يطاف بها في الشوارع معرأة عل ذلك يثنيها عن عزمها ويدفع بها الى الفجور فينال منها وطزه .

واذ عرفت بالامر صلت الى الله لكي يستر عريها ، واذا اخرجها الجنود الى الشارع ولا ستر عليها ، شوهدت غمامة نورانية تغطيها وتمنع العيون من الوقوع على جسدها .

وكان لتلك العجائب تأثير عظيم في الناس ، فأقبل منهم جمع كبير على اعتناق النصرانية بايمان لا يتزعزع .

في ساحة الاستشهاد

وبعد ان ظال عذاب بربراة ، ورأى الوالي ان لا قوة تهيب بها الى اعتناق الوثنية والاستسلام اليه ليقضي لبياته منها ، اصدر امره بقطع رأسها . وخاف ابوها من ان يستعديه الوالي ويعدده شريكاً في جرمها ، فسأله ، من باب التزلف والاسترضاء واظهاراً لبراءته من عملها ، ان يتولى هو بيده تنفيذ الحكم فيها فأذن له .

واقتمدت بربراة الى ساحة الاعدام امام قلعة بعلبك ، وجلس الوالي على منصة عالية وحوله اعوانه ، واحاطت الجماهير بالساحة وليس فيهم الا المشفق على ذلك الجسم البديع التكوين ان يهوي تحت فأس الجلاد ، وازدادت هذه الجماهير حقناً حين عرفت ان ذلك الجلاد لم يكن غير ابيها .

ووقف الوالي يعرض عليها الارعواء لآخر مرة ، واذا اجابته بالنفي باشارة من رأسها ، تلا صورة الحكم وصوته يتهدج ، واذا بابيها يتقدم منها ويديه فأس مرهفة الحد ضرب بها عنقها وهي ترسم اشارة الصليب ففصل رأسها عن جسدها ، وجعلها تتهاوى الى الحضيض جثة لا حراك فيها .

الانتقام السماوي

وما كاد هذا الاب القاسي ينحني لتناول الرأس امام سخط الحاضرين واستنكارهم حتى ابرقت السماء وارتعدت اعادة ارتجت لها الجبال والوهاد ، واهتزت الارض بالطول والعرض ، وسقطت من السماء صاعقة يصحبها لمعان يحطف الابصار ، فاستولى الرعب العظيم على الحاضرين وسقط كثيرون منهم فاقدى الرشد ، وولى آخرون الادبار وهم يتلفتون وراءهم ويصيحون ويعولون قائلين : « لا ريب في ان اله برابرة هو الاله الحق » .

وبعد مرور دقائق على ذلك الحادث المروع ، وثواب القوم الذين انغمي عليهم في الساحة الى وعيهم ، وجدوا والد برابرة مصعوقاً في الارض وقد فارقتة الحياة ، والوالي مصاباً بجراح ثخينة فحملوه الى قصره ، وهو يشن ويتوجع ، وبعد ان قاسى على فراشه مر العذاب اياماً اسلم الروح ، وهو يهذي ، مردداً اسم برابرة بشفتيه ، طالباً منها المسامحة والغفران ، ولعل مثلها قاده الى الايمان بالمسيح ، فمات نصرانياً في قلبه ، بعد تكفيره عن ذنبه .

ذكريات هذا الحادث في لبنان

وصل بوطنوس في حديثه الى هنا واضيافه كلهم واجمون مشدوهون صامتون ساكتون كأن على رؤوسهم الطير وشاء ان يتوقف عن الكلام ولكنهم جميعاً طلبوا اليه كلمة ايضاح عن تقاليد هذا العيد وتطوراتها في لبنان قال :
وبقي اثر استشهاد برابرة عهداً طويلاً لا يمحي من اذهان الناس ؛ وبسببه ذاع صيت برابرة شهيدة العفاف والطهارة في مختلف الاصقاع ، واخذ المرضى والمعذبون يحجون الى قبرها ويحصلون على الشفاء والراحة ببركتها .

وبعد ان عمّ الدين المسيحي وعزّ في جميع الاقطار اخذ المؤمنون يشيدون بذكر برابرة ويعظمون فضائلها ، واقاموا لها عيداً سنوياً خصوه بطواف اعدادي كانوا يمثلون فيه مأساة موتها .

ومضى ذلك الطواف يتبدل ويتطور على مرّ العصور الى ان بلغ الينا بواكب « غرندس » و « المسود » وما يرافقها من اناشيد ومسخر ومزامير ودربكات حاملاً في مطاويه آثار تلك الحادثة التي هزت الشرق ، وجعلته من اقصاه

الى اقصاه يعجب ببطولة تلك البعلبكية اللبنانية ، التي ضحت بنفسها وبكل
ملاذات العالم واباطيله في سبيل الحفاظ على دينها وشرفها .

فصاح الحاضرون كلهم كمن في واحد : ليحيى ذكر بربارة ، وليعيش الدين
ولبنان ! وانهلوا على بوطنوس وحكاياته بعبارات المديح والاطراء ، وتفرقوا
وحكاية بوطنوس محسباً لا في اعيابهم ، كما كان يقول جدودنا ، بل في
صميم افئدتهم ...

الرسالة المخصصة

الوكلاء

الاسكندرية : الاب حبيب كويتير ب م
الخرطوم : الارشندريت كيرلس الحجار
بعلبك : السيد انطون امين الباشا
بغداد : الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني
بيروت : (١) وكيل الرهبانية المخصصة
(٢) السيد انطوان عصفور
حلب : الحوري بطرس جحا
دمشق : (١) الوكالة المخصصة
(٢) السيد انطوان عصفور
ابلق وضواحيها : الاب يوسف سيدة ب م
زحلة : السيد انطوان عصفور
الزرقاء : الاب ميشال حبيب ب م
طرابلس المينا : الحوري يوسف سلامه
عمان : السيد يوسف اسعد سمان
صور : السيد انيس قبطي

الاشترك

السودان ومصر ١ جنيه
الاردن والعراق ١ دينار
البلاد الاميركية ٥ دولارات
فرنسا والاتحاد الفرنسي ٩٠٠ فرنك
سوريا ولبنان : الاشتراك العادي ٦ ل ل
الدوائر والشركات
واشتراك المساعدة ٢٥ ل ل

صيدا : (١) السيد انطوان عصفور
(٢) وكيل الرهبانية المخصصة
القاهرة : الاب اغناطيوس رعد
القدس : الاب تقولا نصرالله
اللاذقية : الاب استفان سالم
عينكاوة : حنا توما عينكاوي

New-London : Rev. Simon Hage, B. S.

Detroit : Mr. John Courey

ممانية ايام في الاردن

في الحادي والعشرين من شهر ك ٢ (يناير) حظيت بمرافقة سيادة ابينا العام الارشمندريت سابا يواكيم الى الاردن ، في زيارته لابناء الرهبانية في الزرقاء وبيت ساحور. وكنت مسروراً جداً من هذه الفرصة التي ستتيح لي زيارة بعض ما اصبو اليه من الاماكن الأثرية وسواها. وبالأخص ما لا اعرفه منها ، كدير مار سابا ، ومغاور قران ، ودير اللطرون ، ووجه الاردن الجديد عموماً .

تركنا دير الخنص بعد ظهر الاربعاء (٢١ ك ٢) الى بيروت ، حيث كان سيادة ابينا العام على موعد لقاء ، فبتنا ليلتنا في بيروت . وصباح الخميس ، غادرناها باتجاه دمشق . وكانت السماء ميداناً فسيحاً لغيوم دكناء وطلساء ، ترحف فيه متشاقلة كاطواد ، تنفض على الارض بعض الرذاذ . وصلنا المديح ، نخوم الضباب والثلج والصقيع ، فأطل علينا دركي يغالب الزمهرير ، فما ان حنا رأسه متفحصاً داخل السيارة بنظرة خاطفة . حتى اشار بيده ، واذن لنا بمتابعة السير ، فاندفعت السيارة سعداً ، تهاجم الضباب الكثيف ؛ وكأنها شعرت بمثل ما شعرنا به من رهبة ذلك الدثار الابيض يلفنا ويحجب كل شيء ، عن عيوننا ، فاتادت في مسيرها ، متمقلة ، وارسلت النور الاصفر من عينيها الكهربائيتين ، لترى امامها السبيل .

وعند المنعطفات كان ينكشف الضباب عن وهاد وآكام مشرقة بانوار بيضاء ، نزلت مصفاة من خلال غلالة الغيوم ، تؤانسنا بابتسامتها ، مرددة قول ابي ماضي :

قل لمن يبصر الضباب كثيفاً ان تحت الضباب فجراً نقياً !

وعندما نزلت بنا السيارة من قمة ظهر البيدر الى اول المنعطف انبسطت تحت نواظرنا سحائب الغمام في السهل الجنوبي من البقاع ، ثابتة متلبدة كقطعات الغم الكثيث الصوف ، الرابض في المرج ، يجتر في قبولة قرب المياه ...

لم نتوقف في شتورا ، بل تابعنا السير وسط ذلك السهل الفسيح ، سهل

البقاع ، وقد ابتداءً يعشوشب ، فامتزج اخضرار الزرع بجمرة التراب ، وبدت رقعاً رقعاً ، كأنها هي لوحة زيتية ، لا تزال ناقصة مطلمسة تحت ريشة الفنان .

في « المصنع » توقفنا قليلاً لاجراء معاملات الحدود ، وانما هي حدود سوداء قائمة ، كأطر اوراق النعي ! اذ يواجهك على جانبي الطريق سقوف مهدمة وجدران مقوضة ، ونوافذ مسودة ، وسيارات زيت محترقة . وبين تلك الخرائب التي كانت بالامس مؤنسة ضاحكة ، سرنا واجمين ، كأننا نستمع الى دوي عميق ينبعث من وراء تلك التلول ، واحسسنا كأنه بجفيف ارواح ، وارتعش جسمنا كأننا في برية قايين ! ...

عند نهاية وادي الحريز ودعنا ارض لبنان وحينما البلد الشقيق ، تلك الارض المباركة الحافلة بمجد تاريخ القديم ، ونظرنا الى الافق . فاذا الجبل الشرقي يرتفع شامخاً في سماء صافية ، معتزلاً بجلال المشيب ، ومبشراً بربيع خصب ، وصيف مربع .

لقد ابدى لنا موظفو الجمرک والامن العام في جديدة يبوس ، لطفاً وادباً واحتراماً نسجلها لهم بالشكر والثناء ، ولم نشاهد هذه المرة ما اعتدنا رؤيته من ازدحام السيارات .

وتابعت السيارة سيرها برفق وحذر في المنعطفات والمنحدرات ، هبوطاً وصعوداً . وبعد ان اجتزنا جسر وادي القرن ، وانتهينا الى سهل الصحراء ، رأت السيارة ان الطريق امامها سهل عريض ، فما كان منها الا ان ثارت ثورة الجواد القتي يحفره خيال ماهر تفتحهم الرياح الغاضبة ، هادرة هازئة . فاستلقينا على مقاعدنا ، نتطلع يميناً وشمالاً ، والسهول والهضاب ما ان تبسط لدينا ، حتى تطوى ، دون متعة خاطر ، بأسرع من طرفة عين !

نزلنا وادي ميسلون ، واخترقنا غوطة دمشق ، وقد عرى الشتاء اشجار حورها ومشمشها ولوزها ... حتى لم يترك عليها ورقة . فبدت كان اغصانها وفروعها عظام في هيكل انسان ، لا حياة ، لا طائر ، بل نهر يزيد يلاقي بردى ، يفضيان باسرار الاودية ، ويبثان شكواهما بخرير عميق ، كأنه النوح ...

مياه توشوش تحت الحصى تخبيء كامن اسرارها
تفت الصخور باناتها وتتلو صحائف اخبارها

فما الصخر حنّ الى شجوها ولا الارض حنت لتبارها
تسير الى البحر صحابة وتدفن فضلة اعمارها ...

(عشروت وادونيس)

دمشق : وصلناها ظهراً ، ورأيناها هادئة ، لا ضوضاء اسواق بيروت ، ولا فوضى سيرها ، وجلبة وازدحام سياراتها . طرقها فسيحة متسعة ، كالخلق العربي السمج ، يجب ما هو واسع فضفاض . وان يد البناء ، مستمرة عاملة ابدأً على توسيع وتحسين هذه المدينة ، التي يعتبرها بعض المؤرخين اقدم مدن العالم . ويؤكد المؤرخ يوسفوس ان بانيها هو عوض بن ارام بن سام ، بكر نوح . ومن يزور دمشق ولا تتزاحم في خاطره ذكريات مجادها في التاريخين الديني والمدني ؟ فقد زارها ابراهيم الخليل ، وافتتحها داود النبي ، واغتصبها الاسكندر ذو القرنين بعد موقعة ايسوس ، وغزاها القديس بولس بايمان المسيح ، وأخضعها خالد بن الوليد سنة ٦٣٥ ، واستعمرتها دولة بني عثمان من سنة ١٥١٦ حتى سنة ١٩١٨ .

بعد الظهر تابعنا السير باتجاه الاردن ، ولاول مرة أسير في ذلك الاتجاه . فبعد اجتيازنا غوطة دمشق ، كان لا بد ان نمر بقرية الكسوة ، على بعد ٢١ كيلومتراً من دمشق ، وهي بجالتها الحاضرة اطلال لمدينة جلق ، عاصمة الفساسنة ، يسقي بساينها نهر صغير يدعى « نهر الاولي » . ثم قرية غباغب ، وهي اول بلد استقبلتنا في ارض حوران ، تعلو عن سطح البحر ٧١٠ امتار . وصنمين الشهيرة بمعبد الاصنام الذي يرجع تاريخه الى اواخر القرن الثاني للمسيح ، ثم شيخ مسكين واطبع ، وداعل وعتنان .

وفي درعا توقفنا قليلاً لانهاء المعاملات . وقد استرعت انتباهنا اكثر من سواها ، وطوفنا النظر في مبانيها الحديثة والقديمة . فلطالما سمعنا عنها انها قصبه بلاد حوران ، ومحطة القطار لفلسطين والجزاز ، ومركز الجيش السوري ، فضلاً عن تاريخها المجيد ، اذ هي ، على رأي علماء الكتاب المقدس ، مدينة ادريحي حيث جاء جيش عوج الجبار ، ملك باسان (حوران) ، لمحاربة بني اسرائيل ، وانهزم شر هزيمة وقتل هو وبنوه . (عدد ٢١ : ٣٣ - ٣٥) . ويشاهد قرب الطريق العام كنيسة جميلة لطائفتنا ، بناها الفرنسيون في عهد الانتداب .

سررنا جداً بروية بلاد حوران التي هي احدى مقاطعات باسان الثلاث :

حوران ، والجولان ، واللجاء ؛ وقد ذكرها الكتاب المقدس مراراً ، متغنياً
 بنحسب تربتها ، ومراعي مواشيتها ؛ ولقد رأينا بأعيننا ما كنا نسمعه عنها
 انها بلاد بركانية ، حجارتها سوداء ، وتربتها كالخناء ، خالصة نظيفة ، وسهولها
 منبسطة ممتدة الاطراف ، لا شجرة ، لا نامة طير او انسان ، كأنها في سبات
 عميق ، تحلم تحت دثار النسيان ، باجماد الماضي !
 وكان سيادة ابينا العام يشير لنا تلك الذكريات ، ويسرد علينا بعض
 اشعار البادية ...

اما القرى ، فعلى عكس لبنان ، يجب ان تسرح الطرف طويلاً ، وعلى
 ابعاد شاسعة ، لتلمح بعض بيوت . وبدت لنا على بعض اميال واحة
 خضراء وسط تلك الحقول ، قائمة على هضبة ، كسفينة كبيرة عائمة في وسط
 البحر ، فهفا قلبنا اليها ، وسألنا ، فقول : هذه هي خبب ، عاصمة النصرانية
 في تلك النواحي ، ومركز الحياة والنشاط لطائفة الروم الكاثوليك في
 حوران ، وكرسي مطران بصرى ، ومسقط راس لبعض اخوتنا واصدقائنا
 كهنة وعلمانيين .

في الاردن

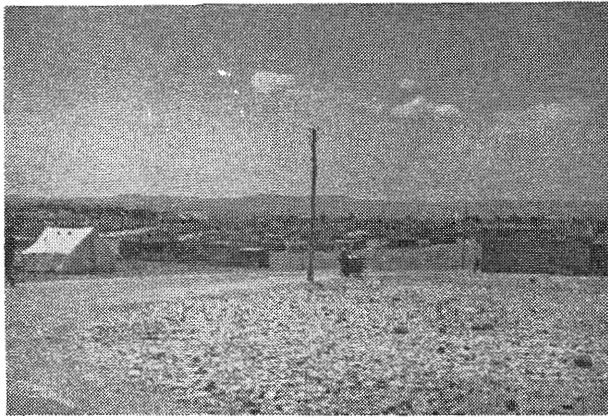
من درعا واصلنا المسير باتجاه الزرقاء ، فوصلنا الى ومشا الاردنية . فتوقفنا
 نحو ساعة ، وشعرنا بموجة برد الصحراء ، وبدأ الظلام يغمر تلك الربوع ،
 فما عدنا رأينا غير سبيلنا تنيره لنا سيارتنا . وبدت لنا الطريق طويلة !
 في تمام الساعة السابعة والنصف ، بانت بعض انوار وخيام . هي خيام
 الجيوش العربية ، فعرفنا اننا على ابواب الزرقاء ، فدخلناها فرأيناها هادئة
 كأنها منكمشة على ذاتها من برد الصحراء ، كما يكون البدوي تحت عباءته .
 ونزلنا على اخوتنا المخلصين في دير الرهبانية ، وكانوا بانتظارنا . واول ما
 طلبنا اليهم ايقاد النار ، « وفاكهة الشتاء النار » !

الزرقاء : هي مدينة عامرة . قيل لنا ان عدد سكانها من مدنيين وعسكريين
 يبلغ نحو ٨٠ الفاً . وكانت قبل سنة ١٩٣٢ قرية وضعة للشيشان ، وهم
 فصيلة من الشركس .

وقفنا صباحاً على سطح الدير ، فانبسطت امامنا هذه المدينة بأغلب
 مبانيها ، فرأينا الحديث منها الى جانب القديم ، وبنيات البطون المسلح تزهو

على بيوت اللبن والطين . ومن شوارعها العريضة والحديثة وثكنات الجيش في قلبها وجوارها - ويبلغ عددها ست ثكنات - يتبين ان الحكومة الاردنية ترعاها بعناية خاصة . والسيارات الى عمان العاصمة ومنها الى الزرقاء في حركة مستمرة .

ويؤنس منظر المدينة الصحراوية ، نطاق اخضر في المنعطف من زرع وشجر يحيطها جدول صغير يدعى نهر الزرقاء ، فيبدو كأنه الوشي المنمق في آخر الثوب . وأما القوم فتغلب فيهم القامة الطويلة والقدم الممشوق . والنساء فثتان : اردنيات ، وفلسطينيات . فالاردنيات يرتدين فستان وعباءة البدويات الفضة فضين ، ويتوجن رؤوسهن بعمامة واسعة شبه اطار ، ولا يزلن محافظات على التقاليد العريقة من وشم الحدين ، والانف ، والذقن ، واليدين ، والانحجاب عن اجتماعات الرجال والظهور في الاسواق ، وكأنهن ينشدن ازاء زي الفلسطينيين العصري : « انا على ما انا من الخلق باقٍ على مذهبي وفي طريقي ! »



مدينة الزرقاء : الجهة الشرقية

وباب الرزق لسكان الزرقاء ، كما للاردنيين عموماً ، التطوع في الخدمة العسكرية . وان عائلات كثيرة مؤلفة من ٥ او ٨ اشخاص ليس لديها غير الراتب العسكري الذي يتقاضاه احد افرادها . والاغنياء بينهم هم الذين يهتمون باقتناء المواشي .

والعائلات كبيرة ، ولا يزال القوم على ما كان عليه آباؤنا واجدادنا

من امر الزواج الباكر ، وبساطة العيش ، وسكن افراد العائلة مع والدهم الذي هو رباط وحدثهم .

وسكان الزرقاء هم في الغالب عرب قبائل البادية وفلسطينيون مهاجرون او اكراد ، كما يستدل من اسماء العائلات .

اصل المسيحيين في الزرقاء : نترك المجال لحضرة الارشمندريت اثناسيوس نقيري المخلصي ، يحدثنا عن نشأة المسيحيين في الزرقاء . فقد كان نائب المطران المثلث الرحمت بولس سلمان من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٥ . قال :

« لم يكن في الزرقاء طائفة مسيحية تذكر قبل سنة ١٩٣٣ . واول عائلة مسيحية استوطنت فيها سنة ١٩٢٧ . فمن هذا التاريخ بدأ المسيحيون المتطوعون للخدمة العسكرية وسواهم يتوافدون اليها ، مستأجرين بيوتاً عند الشيشان ، الى ان اصبح عددهم سنة ١٩٣٣ لا يستهان به ، وشعروا بمسئولية الحاجة الى كاهن يخدم مصالحهم الروحية ، فألفوا وفداً ، وتوجهوا الى عمان لمقابلة راعي الابريشية المثلث الرحمة المطران بولس سلمان . فوكل سيادته الى درس قضيتهم . فذهبت اليها واذا وجدت ان عددهم وافر لا يستهان به استأجرت لهم بيتاً للصلاة . فكنت انفقدهم واقدس لهم مرتين في الشهر . فلما كثرت الطائفة طلبوا جرساً للكنيسة ؛ فأرسلت لهم جرساً من عمان . وكلفت وكيل الكنيسة آنذاك السيد عيد كفاي ، ان يضع الجرس . ولكن الشيشان تصدوا له ومنعوه . فأخبرت بالامر ، فذهبت بنفسي ، وكلفت نجاراً من اخواننا المسلمين من دمشق يدعى ابو ياسين ان يقوم « بعملية تعليق الجرس » . فعلق الجرس بحضوري وكان « ابو ياسين » اول من دقه ، ثم تتابعت الأهالي المتجمعة حولي في دقه ، وكنت آخر من دقه وصرفت المسيحيين بعد ان نبهتهم ان القداس غداً الأحد سيكون الساعة ٩ .

وعندما كثرت الطائفة اشتريت لها قطعة ارض واسعة ابتيننا فيها كنيسة ومدرسة ، واشتريت مدفناً ايضاً . وفي سنة ١٩٤٤ رأيت من الواجب ان يتم كاهن خاص بخدمتهم الروحية . فكلف سيادة المطران حضرة الاب الجليل غريغوريوس دحدل خادماً رعية ناعور بالاختلاف اليهم والاهتمام بشؤونهم الروحية . فكنا نتناوب خدمتهم الروحية يوم الاحد وثلاثة ايام في الاسبوع . وتركت الابريشية نهائياً سنة ١٩٤٥ بسبب مرضي .

والجدير بالذكر ان كنيستنا الطائفية هي اول كنيسة بنيت في الزرقاء وكان يوافيها جميع ابناء الطوائف المسيحية يحضرون فيها القداس . كما ان مدرستنا هي اول مدرسة تأسست في الزرقاء ، اذ لم يكن فيها مدرسة اطلاقاً ، لا حكومية ولا أهلية . ويستطيع القارىء ان يدرك العقبات الجمة والمعاكسات الكثيرة التي اعترضتنا في سبيل بناء كنيسة ومدرسة في بلدة الشيشان .

ويبلغ الآن عدد المسيحيين نحو عشرة آلاف ، وهم موزعون ثلاث طوائف كما يلي :

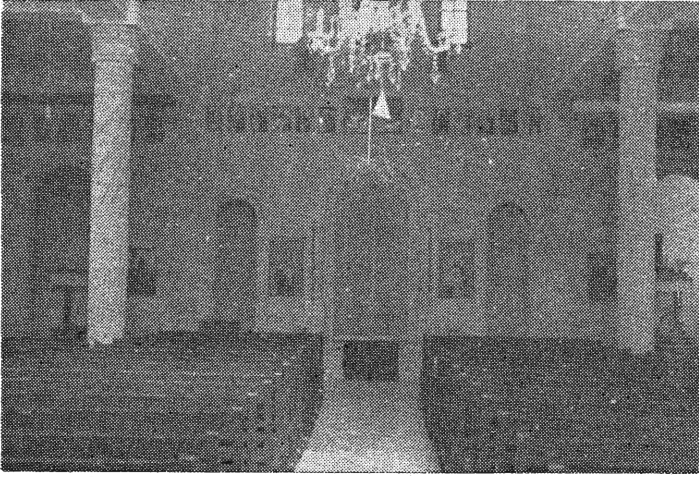
الملكيون الكاثوليك : ٣٥٠٠ - الارثوذكس : ٣٠٠٠ - اللاتين ٣٠٠٠
والبروتستانت وهم قلة . وعلى رأس كل طائفة رئيس روجي .
ولطائفة اللاتين دير جميل حديث يقيم فيه كاهنان غيوران مع راهبات .
ولطائفة الروم الكاثوليك دير باسم ارسالية الرهبانية المخلصية يقوم بخدمة الطائفة
ثلاث كهنة مخلصيين شبان ، وثلاث راهبات من جمعية المساعدات الدوليات .



بعد حفلة عماد تسعة اطفال

الحياة المسيحية في الزرقاء : مايسر خاطر ان رؤساء الطوائف المسيحية في الزرقاء متحدون ، محترمون بعضهم بعضاً يتزاورون ويتشاورون كلما دعت مصلحة المسيحيين . وقد حضرنا اجتماعاً لهم في « دير الكاثوليك » وبحثوا فيه قضية تتعلق بمصلحة مدفن الطوائف المسيحية .

ولاحظنا اقبالاً على الكنائس لحضور الصلوات والقداسات ، وشاهدنا بعضهم يأتون غلساً وفي البرد القارس ليشتروا مع كهنتنا في تلاوة الفرض الكنسي .
 وايام الاسبوع لا يقل عدد «المتناولين» عن الثلاثين الى الاربعين وكان لنا الحظ ان
 حضرنا اسبوع صلاة اتحاد الكنائس ، فكانت الكنيسة ، وهي بطول ٢٣ متراً
 بعرض ١٤ متراً ، تغص على رحبها بالمصلين ، ولاول مرة رأيت عدد الرجال
 منهم يفوق عدد النساء .

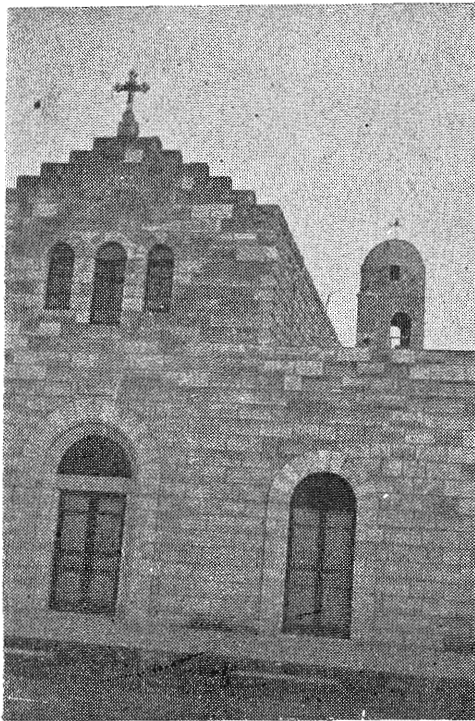


داخل الكنيسة

وسمعت تصريحاً لبعض المسيحيين من طائفة اخواننا الارثوذكس انهم يحبون
 الصلاة في كنيسة قلب يسوع - وهي كنيسة طائفتنا - لحشوعها ، ونظافتها ،
 واتقان الحفلات فيها . ويأسفون ان كهنة الكاثوليك لا يسمحون لهم بالاعتراف
 والمناولة ، قبل تغيير هوياتهم رسمياً ؛ وهذا قد لا يستطيعونه الآن لاسباب
 عائلية او مصالح وطنية . فقلت ، هل يبقى المسيح ضمن حدود الانسان الضيقة
 ام كما قال : « ما لا يستطيع عند الناس ، مستطاع عند الله » ! ...
 هذه الآية هي النافذة التي ينفذ منها نور التعزية الى كل سجين القانون .

شرايين الحياة الكاثوليكية في الزرقاء : هي تلك الجمعيات والاخويات
 المتعددة التي تقوم بها ارسالية الزرقاء لطائفتي الروم الكاثوليك واللاتين ، بفضل
 كهنتها الغير ، والراهبات ، والمرسلات الدوليات . وعلى سبيل المثل اذكر

نشاط طائفة الروم الكاثوليك : فهناك جمعية قلب يسوع للبنات ، وجمعية الملاك الحارس للصبيان ، وجمعية المعلمات الكاثوليكية لكل معلمات المدارس المسيحية ، والسهرات الانجيلية في البيوت التي تقام ثلاث مرات في الاسبوع ، والمدرسة الابتدائية ، وتضم ضمن جدرانها الواسعة وغرفها الجديدة نحو ٥٠٠ طالب وطالبة . وطائفة اللاتين لا تقل نشاطاً ، ويقوم بخدمة الرسالة فيها كهنان شبابان غيوران ، ويؤلفان مع اخوتها الكهنة المخلصين الثلاثة وحدة فكرية وعاطفية للعمل في سبيل تلك النفوس المتعطشة الى تعاليم الانجيل .



واجهة كنيسة « قلب يسوع » الجديدة لطائفة الروم الكاثوليك

نهضة ثقافية : في الزرقاء ، لمسنا نهضة ثقافية ، واقبالاً على تحصيل العلم ، لا بأس بها . فبيلغ عدد المدارس ما يزيد عن ٢٥ مدرسة . كما يدل احصاء سنة ١٩٥٧ ، منها ٧ مدارس حكومية ، و٨ مدارس طائفية واهلية ، ما عدا مدارس وكالة الغوث ، ومدارس الجيش . من مجموعها ست مدارس ثانوية . وحسب احصاء سنة ١٩٥٧ بلغ عدد المعلمين والمعلمات ٢٣٠ -

وبلغ مجموع عدد الدارسين ٩١٤٤ منهم ٣٥٧١ طالبة . وان « رابطة المعلمات المسيحيات » التي غايتها التعاون بين افرادها لتناول المعلومات والاختبارات الشخصية حول واجبات المعلمة ، تقم سلسلة محاضرات تربوية ونفسية وصحية ، ولها مكتبة لا تزال في طور النمو والازدهار . وحظيت ، عن دعوة منهن ، بالقاء محاضرة في قاعة دير الكاثوليك ، موضوعها : « فتاة اليوم » .

في ضيافة « ابو جاسر » :

السيد « ابو جاسر » ويدعى ناصر افندي الدقم ، هو زعيم حمولة الدقوم ولقد تكرم بدعوة سيادة الاب العام وكهنة دير الكاثوليك واللاتين لتناول طعام الغداء في بيته . وسررت هذه الدعوة لاشاهد بعيني ما طالما سمعته وعرفته عنهم ، وبالاخص طريقة اكل « المنسف » .



السيد ابو جاسر الدقم

ويشوقك في السيد ابو جاسر ان ترى له قامة طويلة هيفاء ، ووجهاً ابيضاً رقيقاً ، هو وجه محدث نبيه وزعيم نبيل كريم ، ومكافح صلب العود ثبت الجنان ، ومن نشاطه تدرك انه لا يزال في ربيع الحياة .

في تمام الساعة الواحدة وقفت سيارتنا امام داره العامرة . فاذا بالسيد ابو جاسر مع ضيوفه الكرام يخرجون كلهم لاستقبالنا . فدخلنا قاعة ، هو المربع ، منعزلة الى اليمين ، مفروشة على الطريقة العصرية . وفي احدى زواياها ،

الى يمين الباب ، موقدة من حديد ، هو المنقل ، فيها ثلاث غلايات : واحدة كبيرة تسع نحو ثلاثة لترات ، واثنان متوسطتان . فبعد جلوسنا قدمت

لنا القهوة اولاً ، وما احلاها مرة ، عربية خالصة !
وكنت اراقب ما يعمل ... فارجمت الفنجان بعد ان هزته بين اناملي ،
علامة الاكتفاء .

وبعد حين جيء بالمنسف ، وهو صدر كبير ، عليه لحم الضان والرز ،
وضع على طاولة ، وقدمت اربع كاسات من الشراب له طعم « ابن امه » ،
فأكلنا على الطريقة العربية ، ومن طرف خفي كنت اراقب ما يعمل ،
ويراقبوني . وساعدني جاري اللطيف على تقطيع اللحم وكأنه لحظ ارتباكتي ،
وقال بصوت منخفض : كل من اللحم ودع الرز ! فأنقذ الموقف !

وكان بين المدعويين شاعر ، يدعى توفيق منصور ، يحسن انشاد الشروقيات
فتغنى بثلاث قصائد من تأليفه ، واحدة للملك حسين ، وثانية للرئيس العام
بالشعر الفصيح ، وثالثة للسيد ابو جاسر .

وليس لدينا غير قصيدة مدح سيادة الاب العام والسيد ابو جاسر ، تقتطف
من قصيدة الاب العام هذه الابيات على سبيل المثل :

يا طيب الاخبار يا ريح الصبا يا من اليه كل قلب قد صبا
يا صادق الانفاس يا اهل الذكا يا طاهر الاذيال كم لك من نبا
عرج على دير الخالص قاصداً ميمماً منه نسيماً طيباً ...

ثم هذه الشروقية مدحاً بالسيد ابو جاسر :

عاش الكريم الاروعي نسل الاجداد له سمعة بالطيب بين الاعبادي
الليث ابو جاسر له بين الاعباد ذكرى حميدة في الحضر والبوادي
في الجود والمعروف والمرجلة زاد ناصر كريم من ابا والجدادي
يا منجد المنضام لو جاه قصاد مقري اليتامى في سنين الجمادي
يا منهل الضيفان للضيف وداد يا فزعة المنضام من يعادي
الله يديمك يحفظك سيد الاسياد يكفيك شر اهل الحسد والعنادي
حنا وصانك دوم من اهل الاعناد واختم كلامي بالذي الناس فادي .

وخلنا انفسنا في هذا الاجتماع ، وهو يعزف على الربابة ، اننا في عهد العباسيين ،
على ما وصف « كتاب الاغاني » لمجالس الطعام والطرب والضيافة عند العرب .

الاب بطرس حداد المخلصي

بنانيات

دروس انتقادية على الكتب :

سياسة لبنان الخارجية - تأملات لبنانية -
ارآء في اصلاح لبنان - في سبيل لبنان افضل

بقلم
ا. سكاف

مشكلة النخبة عندنا هي في الطبيعة . فالزعامات الى الآن تحكم البلاد وهي بجملة متوارثة . قد تتلاقى هذه بقم انسانية . انما تركز على الغالب الى اسم طنان ، او بطش ، او تضامن شبه قبلي .

اما النخبة الواعية التي تتجرد عن ذاتياتها ، وتعمل بوحى من ضميرها للحقيقة ولخير هذا الوطن فاين نجدها ؟ كان ميشال شبحا ، رحمه الله ، يطلع كل يوم في جريدته « لو جور » بمقال يعالج فيه شؤون الساعة بتجرد وصدق وبصيرة . وكان يسدي فيها النصح السديد او التنبيه والانذار او الاطرآء . ولم يكن يصغي الى صوت اللحم والدم فكانت جريدته نبزاساً خبت من بعده واختفت .

بيد ان موجهي الرأي العام ، صحافي اليوم وكتابه ، تلك النخبة المفكرة فاين هي من مسؤولياتها ؟ مشكلتنا في لبنان هي ان بعض النخبة نزلت بتفكيرها وقلمها الى السوق في مزيدة التدليس والتويه . وان بعض مديري الرأي العام من صحافي اليوم ، هم اصحاب حوائث في سوق القلم .

لم ينضب بعد دم الشهداء على خنادق الكرامة والاستقلال . ولم تسح الدمعة الحرى على آلام الاشهر الطويلة ، حتى اخذت المحاولات الكتابية تنشر لفهم بعض ما مضى ولرسم خطوط ذلك الحلم المزعج حلم الايام الجمر لسنة ١٩٥٨ . الكلمة هي للحقيقة ومنها . تنطلق من غلاف الفكر الى غلاف الكتاب . وصنعة الكلمة هي صياغة القالب الشفاف الذي تنزل فيه الحقيقة وتستقر وضاءة . وليس من اجر للكاتب على الارض سوى انه ادى شهادته صريحة دون حياء .

فقلم الانتقام والوشاية ، وقلم الساعي ، في شبه ديب على الارض ، ولو بتعفير الجبين ، الى الكسب على انواعه انما هي افلام تشويه وتزييف ، وتناجها

طلاء وبضاعة هشة في دنيا الفكر . في حين ان القلم الرصين ولو كان بعد قليل الخبرة في نفسية الناس ، انما هو مشعل يهتدى به في ديجور حياة الفكر .
وها اني اقدم للقارئ بعض الكتب التي ظهرت تعالج القضايا اللبنانية :
١ - سياسة لبنان الخارجية : هو الرقم ١ من سلسلة الكتاب العربي لدار النشر العربية . صدر في كانون الثاني سنة ١٩٥٩ . قدّم له ولللسلسلة فاروق بريبر . والغاية من السلسلة هي « الكفاح الثقافي الذي ينير الطريق امام كل مواطن عربي » .

يقع الكتاب في اربعة اجزاء : ١ - نبذة تاريخية . ٢ - مبادئ السياسة الخارجية اللبنانية . ٣ - السياسة اللبنانية والتعاون الاقتصادي . ٤ - رسالة لبنان . لاسك ان القارئ يعرف شخصية المؤلف الاستاذ فؤاد عمون امين عام وزارة الخارجية سابقاً . قدم استقالته من الوظيفة قبيل انتخابات سنة ١٩٥٧ وخاضها الى جانب المعارضة فكان حظه خاسراً . ولربما نمسك في اخفاقه هذا بسر ما يؤخذ عليه الكتاب . « حاول وقف الانحراف في عهد شمعون ، ولكنه فشل ... اعتزل منصبه - وهذا غير صحيح - وانضم الى الشعب » (انظر غلاف كتابه) وكان عضواً عاملاً في الجناح اللبناني لجبهة الفتنة .
مآخذنا على الكتاب كثيرة ، ولا يسعنا ان نمر بها جميعاً . انما لا بد لنا من التنويه الى بعضها .

يرسم الاستاذ عمون سياسة الامير فخر الدين المعني كانها سياسة حياد ايجابي بين فرنسا واسبانيا . وهي منبثقة ، على حد قول المؤلف ، من ارادة الشعب . فالامير المعني اقام امارته على تألف الطائفتين المارونية والدرزية (صفحة ١٢) وكان جيش فخر الدين من الموارنة والدروز (١٢ و ١٣) . وهكذا « تسنى للامير ان يبني سياسة دولية يساندها الشعب ... فلا المحمدي تأثر بالعاطفة الدينية في كفاحه ضد التركي الذي يدين بدينه ، ولا المسيحي انساق بيميله نحو دولة مسيحية » (صفحة ١٢) . ونحن نتساءل عن مدى صدق نظرة الاستاذ عمون . ان فرنسا كانت حليفة تركيا . ففضل ان يحصر نضاله ضد هذه الدولة ، فلازم الحياد حيال اسبانيا خوفاً من فرنسا . كما اننا نتساءل عن القدر الذي اشترك فيه السنيون في حركة استقلال لبنان .
اذ الكيان اللبناني هو من المسلمات عند المسيحيين عموماً والدروز والشيعية

باكثريتهم . وهل نستطيع القول نفسه عن السنين ؟ قد نكون من الشاكرين
 للمؤلف لو قدم لنا امثلة على اشتراك السنين الى جانب المعني بالحركة اللبنانية .
 وبعد هذه النبذة ، ياتي المؤلف الى رسم خطوط السياسة الخارجية
 المعاصرة فيعرض اولاً مبادئها ويرى فيها تكملة لسياسة فخر الدين . ويلح
 على القول بأن اللبنانيين حريصون على هذا النهج . فثاروا سنة ١٨٤٠
 وثاروا سنة ١٩٥٨ « لانحراف السياسة اللبنانية الصحيحة » . ولذا فسياسة
 لبنان الخارجية تنبثق عن ارادة الشعب - مسكين ذلك الشعب !

وتعبيراً لهذا الواقع وضع اللبنانيون فيما عرف بالميثاق الوطني الذي « ارتضى
 بموجبه المسيحيون والمحمديون لبناناً وطنياً لهم بمحدوده الطبيعية المعينة عام
 ١٩٢٠ . واعتمدوا سياسة استقلالية تنشد التعاون الصادق بين لبنان العربي
 وسائر الدول العربية » (صفحة ٣٧) .

والى هذا الميثاق اعتمدت السياسة الخارجية بروتوكول الاسكندرية ،
 وميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك العربي والتعاون الاقتصادي .
 وتدعيماً لاستقلاله انضم لبنان الى ميثاق الامم المتحدة . وفي تحليل اهداف السياسة
 اللبنانية يوجز الكاتب القول بان الهدف الرئيسي هو المحافظة على كيان لبنان
 واستقلاله ، ثم العمل على تعزيز اوضاعه الدولية وتنمية العمران فيه واثاحة
 الفرص له لتأدية رسالته .

وفي سبيل ذلك يتعاون لبنان والامم المتحدة والدول الاسيوية والافريقية
 ضمن مبادئ مؤتمرات هذه الشعوب ولاسيما مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ .

ويتطرق الكاتب الى التدقيق في طبيعة العلاقات بين لبنان والدول
 العربية ، ويأتي على ذكر مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى .
 واذ يتطرق الى النزعة التوحيدية بين الدول العربية يقول : « من موجبات
 السياسة اللبنانية احترام ارادة الشعوب العربية النازعة الى الوحدة » . (ص٧٨)

لم نقتنع الكاتب في تضاعيف عرضه . ولم نوجه اليه الانتقاد . لعلمنا بان
 امين وزارة الخارجية السابق ينظر الى الامور بمنظاره كعضو من اعضاء
 جبهة الفتنة . وكنا نتوقع صدقاً وامانة في ذكر الحوادث الاخيرة وسببها
 فلا يرمي الرئيس السابق فخامة كميل شمعون بمثل التهم التي يوجهها اليه ، مع
 العلم بان قسماً وافراً من اللبنانيين يعتقدون مذهب شمعون في السياسة . كما

اننا كنا نتوقع ايجابية اكثر في عرض علاقات الدول العربية ولبنان . وكان عليه ان ينادي بتطبيق مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية حتى بين الدول العربية نفسها . فكم عانى لبنان منها .

اذا ما جرد القارئ النظرات المعرّضة وعزل الكتاب عن هدف السلسلة كان بين يديه نظرة شاملة لسياسة لبنان الخارجية على ما يراها فريق من اللبنانيين .

٢ - تأملات لبنانية : اما الكتاب الثاني فهو للدكتور بشارة صارجي . وهو كراس جميل الطبع ، اوجت به الازمة . والكتاب يتسع لعشرة تأملات مع مقدمة وذيل .

اسلوبه خاص . ولغته فيها كثير من التجديد والمحاولات . وقراءته هينة . نهجه الفلسفي يعتمد الى الفينومولوجية وهي مذهب لعرض الظاهرات في كيانها الوجودي والكيينوني وتعليلها عن طريق المقارنة والتحليل . نظر الدكتور صارجي وطنه يتمزق فاعمل الفكر ليخرجه الى الرقي وال عمران عن طريق القوى الكامنة في الانسان وقوة الحب المرافقة للنزعة المجتمعية . توفيق في كثير مما كتب . ولعل كتابه يساعد على التخلص من كثير من الرواسب الاجتماعية والمركبات النفسية عند فريق من الذين يؤمنون بالانسان ولبنان . انا ليسمح لنا الكاتب ببعض الملاحظات .

قد لا اسارك ، لما عندي من الواقعية ، ايمان الكاتب بالانسان سواء كان جوهرأ او قدرة او قلباً لاحل بواسطته مشاكل الساعة . فاني بت على يقين ان السبب البعيد لفتنة لبنان انما هو اصطدام بين مذهبين مختلفان في النظرة الجذرية الى الكيان اللبناني والانسان والحريات . وعبثاً نموه على نفسنا بجميل الكلام وسامي النظريات . فالعراك اعمق من ان يكون نزاعاً سياسياً . ولذا اعتقد ان الدعوة الى المنطق والحقيقة والمجتمعية والديمقراطية المثالية انما هي دعوة في بادية وهي غير واردة .

واذ امتدح الطريقة المثالية التي يعالج فيها مواضيعه ، لا يسعني الا ان اعيب عليه غموضه . ولعله غموض ملازم للبحث او مقصود . وهذا ما يفقد الفكرة وضوحها ويلبسها شيئاً من الميعان . ويميل كثيراً الى التعميق في الكلام ونوع من الصياغة التي يتوقف عندها بشيء من الوله والنزيسية . وفي هذا

ضرب من السحر الذي هو لون من السكر الجذاب .

وعلى سبيل المثال آخذ التأمل الاول : « قبل ان اكون مسلماً او مسيحياً انا لبناني » . انه من التعابير الطنانة التي تلج الآذان دون استئذان وتقيم فينا ولها ظاهر الحق . فسواء اعتمدنا الطريقة الفينومولوجية او تجربنا تدرج القيم وجدنا ان « اللبنانية » في التفكير لا يمكن فصلها عن الاسلامية او المسيحية . ان اللبنانية هي مناخ للانسان في لبنان . وفي عالم الوجدان نبني الصلات بالمحيط وفقاً لنظرتنا الى الكون وعلاقتنا به . والدين يحتكم بهذه النظرة . اضع الى ذلك ان الدين هو اثن ما لدى الانسان على اعتبار انه يتناول المصير الانساني بكامله . وهو بالتالي اثن من وطنيته . وعلى ذلك تعود المشكلة من جديد وتبقى دون حل . وهذه المشكلة هي : هل تتسع الاسلامية والمسيحية على السواء لقيام وطن لبناني ؟ هذا هو الجو الواقعي لهذه القضية التي لم يتعرض اليها الكاتب بكلمة .

ولنا مثال آخر في دعوته ان لبنان هو وطن عابر . لو اتينا نلم بما يعرضه الكاتب المامة شاملة لوجدنا انه في الواقع يخالف ادماج لبنان بغيره ويوافق عليه من حيث المبدأ . ذلك انه قيّد امكانية هذا الاندماج بشروط عديدة تجعله امراً عسير التحقيق .

ولكن انسى للقارئ ان يلم باطراف الفكرة المتشعبة حتى يفقه موقفه بالتدقيق لاسيما بعدما يتحقق البراهين القوية والواضحة التي يقدمها ليدعم الاندماج فيستعمل كلمات لها صداها اليوم كمثل الاستعمار الذي اقام الحدود بين الدول العربية والازدهار الاقتصادي والوحدة القومية والقوة العسكرية والوحدة الجغرافية وكلها تفرض الاندماج بين لبنان ومختلف الدول . في حين ان موانع الاندماج في الواقع تعود الى قضايا نظرية كالمثالية والديمقراطية والتطور المختلف بين الدول الشرقية . « ان الثمرة التي تقطف قبل نضجها يعجزها الذوق لا محالة » .

وربما كان الهدف من هذا الموقف نزعة الى ارضاء الفرقاء المعنيين . فاللبنانيون يتنازلون عن نقطة والعروبيون عن نقطة اخرى . وهكذا يمكن التوفيق بين الاثنين في الواقع دون المثالية . غير ان الكاتب ارضى العروبيين فصاحوا : راهب من دير الخلص يدعو الى الوحدة ! واغضب

الآخرين فاصلوه انتقاداً لاذعاً على صفحات جرائدهم .
وفي تأملات عن لبنان كان لا بد من تبيان شخصية لبنان وميزات اللبناني .
فلبنان الملجأ الذي امه المظهرون من موارنة وارمن وسريان وروم كاثوليك
وكلدان ودروز وشيعة ، هو بلد الامن والحريات والكرامات . هكذا اراده
بنوه وهكذا احبوا بقاءه . ويجب ان يظل على كثير من المناعة حتى
يبقى للمضطهدين في هذا الشرق واحة سلام يؤمنونها عند دنو الخطر .

كما ان نفسية اللبناني في الصميم هي نفسية المغامر . فسواء هاجر من
القرية الى مدن اميركا او مجاهل افريقيا او عمر البلدان العربية او تاجر
وسافر ، فما زال على نفس الطوية مغامراً قبل كل شيء . واعتقد انه كان
من الضروري ان يتوقف الدكتور صارجي عند هذه النقطة بدل ان
يتوقف بكثير من الالحاح امام صورة اللبناني للعوب السريع النسيان .
المغامرة هي سبب اللعب وهي التي توجده . وكفيلسوف كان على الكاتب
ان يعود الى المصادر الاولى والمقومات الاساسية للنفسية اللبنانية .

هذه ظلال في صفحات مشبعة بالتأمل وبالحب . واذا دل القارئ على
بعضها فليس الا ليتنبه الى كثير من الاضواء المشعة والمعكوسة على
صفحات هذا الكتاب .

٣ - وهناك كتاب ثالث : آراء في اصلاح لبنان ، للدكتور منوال
يونس ، استاذ الثقافات الشرقية سابقاً في جامعة فينزويلا المركزية . وهو
مجموعة مقالات نشرت كلها في جريدة الجريدة البيروتية خلال سنتي ١٩٥٧
و ١٩٥٨ قبل الحوادث الدامية وبعدها .

والكتاب محاولة طريفة تستوحي العلم الاجتماعي والواقع اللبناني بقصد
ان يستفيد الثاني من الاول لاجل الوصول الى الاصلاح المنشود . فبعد
مقدمة في تعريف الاصلاح على اساس الارادة الشاملة للعيش في لبنان معاً
حياة ديمقراطية لا اثر فيها للجزبية الطائفية والاقليمية يأتي الكاتب الى تحديد
مسؤولية المفكرين في لبنان ومكان النخبة منه . ثم يعكف الى وصف
التركيب الاجتماعي في لبنان ، ويلج على التعليم كعنصر فعال في انشاء وحدة
وطنية . ثم يأتي الى وصف ظاهرة الهجرة فيبين تقصير الحكومة والشعب
لتكوين قضية المهاجرة على الصعيد الوطني ثم يعدد مزايا المهاجر وكيف

انه للبنان ثروة فكرية وانسانية ومادية وسياسية . وفي مقال بعد العاصفة يرى ان ما حدث في لبنان انما هو الظرف الذي لا يعود للاصلاح على اساس الحرية والعدالة والنظام .

اسلوب الكاتب شيق ولغته تجمع الى السهولة والابتكار السلاسة والنبيل . افكاره متسلسلة وواضحة وحججه دامغة على الغالب . قد يحتاج الى واقعية اكثر في فهم مقومات النفسية اللبنانية والفرقة بين الدين والتعصب .

قلت ان الدكتور مانويل يونس يطبق علم الاجتماع على المحيط اللبناني فيرى فيه مجتمعاً متعدد العناصر والاصول العرقية والتاريخية والثقافية والدينية ، مجتمعاً له قدرته الفائقة على التفاعل والبقاء . بيد ان مجتمعاً كهذا « في مراحل التهقرى والانحطاط تتحول ثورته الى عامل سلبي هام من عوامل التعجيل في القضاء على سلامة الكتل الاجتماعي وتقكيك مركباته » (صفحة ١١) ولبنان اليوم يجتاز مرحلة حاسمة من مراحل انحطاطه الاجتماعي والوطني . فلسكي فخلص لبنان من ورطته لا بد له من ان يصبح مجتمعه المتفكك الحالي وحدة عضوية موحدة المصالح العليا والانظمة والمصير .

غير ان العقبة الكبرى في سبيل هذه الوحدة هو « التفكير الطائفي القائم في جوهره وصلب مضامينه العاطفية واللاعقلية على تكريس التجزئة الاجتماعية والوطنية » (صفحة ١٣) ولذا فكل موقف يقفه اللبنانيون من قضاياهم المصيرية الكبرى قبل ان يتخلصوا نهائياً من اوزار ماضيهم العاطفية واللاعقلية كالتوائفة وغيرها من الرواسب ... اجل كل موقف من هذا النوع لا يمكن ان يقوم الا على الخطأ والتناقض والفشل (صفحة ١٤) . ولا خلاص من هذه العقدة الا بوضع مخطط شامل يصوغه المفكرون ، وتقود تحقيقه النخبة ، فيخلص فيه الافراد والطوائف من ثورتها على الدولة . « ان رفع اللبنانيين الى هذا المستوى العالي من الحياة الراقية الحرة يؤدي بهم حتماً الى الالتقاء عن طريق العقل الطليق ومنطق الخلق والارتقاء ، حول مصلحة قومية واحدة والى الاجتماع على ارادة حيائية شاملة مشتركة » (ص ٥١)

ولذا كان على المجتمع اللبناني ان ينظم نفسه على اساس الاحزاب السياسية الديمقراطية ليتخلص من مركب الطائفة والتزعزعات الاقليمية .

تلك افكار يبسطها الكاتب ، فهل للمجتمع اللبناني ان يخلص من رواسته ؟

وهل نتوصل الى يوم « اذا ما ادرك اللبنانيون - حكماً وشعباً - وباخلاص واقتناع كاملين ، ان الحياة الاجتماعية المؤتلفة هي اسلم واسمى من الحياة القبلية والطائفية والاقليمية وغيرها من العصبية الآيلة بهذا الوطن الى التفكك والحراب . في هذا اليوم دون سواه ، سيتحولون الى مجتمع موحد مزدهر متراس ، وتزول مخاوفهم الخيالية حول مصيرهم المقبل العام فيتعايشون عندئذ ويتفاعلون » (صفحة ٣٧) .

اننا نوافق الكاتب على ما فات شرط ان تصل كلماته الى من هم في اساس هذه الازمة ، وشرط ان يتحرروا من مركباتهم الاجتماعية وعقدتهم النفسية ويحموا نفوسهم من شر الدعايات ، فيسمون الى هذا الافق الانساني .

كما اننا نوافق الكاتب على ملاحظاته حول التعليم اجمالاً . بيد اننا لا نؤيدها الا من جهة اولئك الذين يسفرون العلم للسياسة ويوجهونه شطر الاقليمية والانحصارية في مجتمع اكبر . ان اكثر المحصلين لوطنهم والذين عملوا على تحريه ورفع مناره انما هم الذين تخرجوا على مقاعد المدارس الاجنبية . والبلية في هذا البلد ان التعليم الحكومي الرسمي باكثرية جهازه العامل في حقل التعليم قليل الايمان بلبنان . وليسمح لي بكلمة : ان تعليم الدين في المدارس ، لاسيا اذا كان تعليماً كاملاً ، انما هو خير وسيلة لاقضاء العصبية والطائفية . فالدين شيء والعصبية شيء آخر . والعصبية تكتسب بعد المدرسة في العراك مع الحياة وتحمل مآسي الطائفية السياسية .

واعتقد ان ما يتفرد به الكتاب هو فصله عن قضية المهاجر اللبناني . وقد يصح ان يتخذ منه المربون بعض المقاطع ليضعوها بين ايدي النشء . انظر صفحة ٤٦ - ٤٩ « هذا هو المهاجر اللبناني : ثروة انسانية وفكرية واجتماعية ومادية لا عوض عنها ولا بديل ، ومع ذلك فان لبنان يهمل هذه الثروة بعباوة ليس بعدها غباوة وباجحاف ليس بعده اجحاف » (صفحة ٤٩) فعلى من السبب ؟ اليس علينا كننا ولا سيما على اولئك الذين يرون في المهاجر « عدداً بشرياً هامداً تحدد علاقته بلبنان على اساس النسبة العددية الطائفية » . (صفحة ٤٦ - ٤٧) .

نقف عند هذا الحد من العرض لهذا الكتاب الذي يتفق بمناخه السامي مع « تأملات لبنانية » ، ولكنه يختلف عنها بوضوحه وواقعيته المثالية .

٤ - في سبيل لبنان افضل : الشريعة الديمقراطية - كتيب يقع في ٨٠ صفحة ، من منشورات مطبعة دير الخلد سنة ١٩٥٨ مؤلفه م. حكيم .

الغاية من وضع هذا الكتاب ، كما يدل عنوانه ، جعل لبنان افضل من وضعه الحاضر . فالفتن التي يتعرض لها لبنان الحين بعد الحين ، يجب ان تعطي اللبنانيين عبرة ودرساً ، وان يتفادوا هذه الكوارث الوطنية بانخاذ نهج اصح للقضاء على الاسباب التي تولد العداء بين اللبنانيين .

وهذا ما يحاوله المؤلف « بايجاد نقاط التقاء بين اللبنانيين » اسمها « الشريعة الديمقراطية » باسماً كيف تكون هذه الشريعة روحاً للوطن ، وحياة فضلى . فتناول بالبحث « الشريعة الديمقراطية ، والجسم السياسي ، والدولة ، والسلطة ، والتهديب ، والهراطقة السياسيين والنخبة ذات الصدمة المهمة » . وفي كل فصل ، يعرض الكاتب المبادئ النظرية - التطبيقية ، والاتجاهات الفكرية المختلفة ، وما هي عليه من صواب وخطأ ، داعماً ذلك بالحجة الفلسفية والمثل ، ومستخلصاً الى الناحية العملية ، فيبين الواقع اللبناني وما عليه من خطأ وضعف ، كمهندس حكيم يبين مواطن الفساد والخطر في البناء ، ويصف الخطط العملية لاصلاح جذري ، فيأتي البناء الجديد افضل من القديم .

هكذا ، مثلاً ، في فصل « الدولة » يبسط مفهوم الدولة الاصح ، ومركز الحكم من المجتمع الانساني والوطن ومدى تأثير الدولة في الجسم السياسي وحقوقها وواجباتها نحو المواطنين ، والوضع الفاسد لأغلبية الحكم اللبنانيين . وفي فصل « التهديب » يشرح واقعياً ما للتهديب من تأثير فعال في تطور عقلية الشعب وتحوير البيئة ، واعطاء القيم حقها من الاعتبار والاهمية ، وبالأخص في مفهومية الحياة اللبنانية ... وما هي السبل لنشر التهديب الوطني الصحيح ، والتخلص من طفيليات الارشاد القومي .

وقد اعتمد المؤلف الايجاز ، فوقع في بعض الغموض والابهام ، من حيث الفكر والعبارة . وعلى سبيل المثل نذكر الفصل الاخير « النخبة ذات الصدمة المهمة » .

ولكن الكتاب يدل على ما لمؤلفه من بسطة علم واختصاص في الدروس الاجتماعية . فنهته ، ونتمنى ان يطالع كتابه جميع اللبنانيين ليتفهموه ويساهموا في بناء لبنان افضل .

السيدة جوزفين الحاج شاهين

افتقد الله في الرابع من شباط الجاري آل الحاج شاهين ، من عائلات زحلة المعروفة بالتدين والفضيلة ، الى جنب ما متعها الله من يسر وجاه يسخرهما افرادها في سبيل الخير والبر . وحسب هذه العائلة شرفاً ان يطلق عليها لقب « بيت القديس » نظراً لما كان يمتاز به عميدها ، المرحوم الياس الحاج شاهين ، من تقوى اصيلة وایمان راسخ ، قل ان نجد نظيرهما في عائلتنا المسيحية .



المرحومة جوزفين شاهين الحاج

والسيدة جوزفين ، التي خسرتها زحلة ، هي قرينة السيد جان الحاج شاهين ، توفيت على اثر عملية جراحية في المرارة وهي ما تزال في السابعة والثلاثين من عمرها ، تاركة ثمانية بنين هم بامس الحاجة الى مثل عطفها وعنايتها .

اجمل ما كان يؤثر في تقواها شمائل الوداعة والتجرد والبساطة ، ينعشها ايمان يحيي كل اعمالها وتصرفاتها . فالقداس والمناولة اليومية اعتادتها منذ ان عرفت طريق الكنيسة ، تدخلها مع اولادها اول المصلين وتخرج منها آخر الكل . حتى منزلها كانت تحوله الى معبد تجتمع فيه افراد عائلتها مساء كل يوم ، تتلو معهم صلاتي المسبحة والبراكليسي ، حتى ان احد اولادها البالغ الثالثة والنصف من عمره صاح برفقائه يوم دخل المدرسة لأول مرة : « ما بالكم هنا لا تصلون ، كما نفعل مع المأما في البيت ؟ ! اركعوا لتتلوا صلاتنا للام البتول » . ولنسمعها هي نفسها تردد في كل ظروف حياتها عبارتها المألوفة هذه : « لا شيء اهم من اتمام ارادة الله ، ثم استعدادنا لملاقاته تعالى » . وكثيراً ما كانت تحدث زائريها من فيض قلبها ، عن ضرورة تجرد الانسان من حطام الدنيا ، واعتبار الموت سبيلاً لاتحاد النفس في سعادة الله ، وعمما تجده من لذة ومتمعة بالاتحاد مع الله في هذه الحياة

بواسطة الصلاة واعمال التقوى .

وما كان ابلغ واصدق كلامها حين كانت تبدي اسفها ازاء بعض المسيحيين الذين يببالغون في تأليه الجسد بأزياء العصر ، معرضين عن الجوهر ، لا يتعرفون برهبهم الا في ساعة المحنة . كان يشعر المتحدث اليها ان كلامها منبثق من قلب مقتنع ، مغمور بحضور الله ، ناعم في صحبته وصادق في حبه له ... اما تجردها فكان عظيماً ، يذكرنا بتجرد القديسين والمتعبدين . فهي ، رغم غناها ، كانت تبدو بسيطة الملبس ، محتشمة وبعيدة عن كل زخرف وتكلف . ويشهد ذوها انها لم تتعلق في حياتها كلها الا باسطوانة « امي » للمطربة فيروز ، كانت تحب الاستماع اليها لاسيما في آخر حياتها . وكان منظر مجاها يشع طمأنينة وهدوءاً ، لانه قبس ما في قلبها من سلام واتحاد مع الله ، واستسلام لمشيئته تعالى استسلاماً جعلها تتكل عليه في تربية بنينا ، وفي اصعب واجباتها العائلية . فقد سمعت تردد في ساعاتها الاخيرة عندما اشتدت عليها وطأة المحنة ، وخافت على اولادها من الحرمان : « العذراء عالة بالمسؤولية التي في رقبتى فلن تهملني » .

ويشهد عنها عارفوها ايضاً انها كانت تمتاز بلسان دافئ ، لا تتكلم على احد بسوء ، تعطف على القريب والمعوز ، وتمده بالمساعدة في خفاء وابتسام ، يفرج عنه اكثر من العطية ذاتها . ولا عجب اذا ما رأينا اولادها ينشأون على خصالها وفضائلها بشديد تقواهم وعميق ايمانهم ، حتى ان كبرى فتيانها تلقت نبأ وفاة والدتها بهدوء تام ، وهي تقول : « لا بأس ، فالماما علمتنا كيف نحمل الصليب » . وعند رؤيتها كثرة البكاء حول نعشها ، توجهت الى المنتحيين تقول : « هل ترضى امنا اذا رأتنا نبكي كمن لا رجاء لهم ، قوموا لنصلي ، فالصلاة اجمل عزاء لنا » .

فب وفاة هذه السيدة الفاضلة ، نشعر ان نفساً من النفوس الكبيرة قد توارت عنا ، تاركة فراغاً يصعب ان يملأه غيرها . وما اصدق ما قالته الراهبات اللواتي كن يقمن بجرس الشرف امام جثتها : « كتبنا وقتئذ نشعر بحاجة الى طلب شفاعتها اكثر من حاجتها الى صلاتنا لاجلها » ...

فالرسالة المخلصية ، اذ آلمها هذا المصاب الجسيم ، تتقدم من آله وانسابها باخلص التعزية ، سائلة لهم السلوان والعزاء ، ولنفسها الراحة مع القديسين الابرار .

الاب جورج كويتر المخلصي

حنا منصور الحداد

في العشرين من كانون الاول سنة ١٩٥٨ فجعت جالية واتربري كنتكتك عامة ، واسرة الحداد خاصة ، بوفاة عميدها المأسوف عليه كثيراً المرحوم حنا منصور الحداد (معاصر الشوف لبنان اصلاً) وهو في العقد السادس من عمره . فكان لوفاته رنة حزن واسف تردد صداها الالم في مختلف الولايات الشرقية والغربية ، بل تعدتها الى كندا والبرازيل حيث يقيم اخوة الفقيده وانساباؤه واصدقاؤه ومريده العديدون .

وقد اقيم له ماتم حافل قل نظيره ، اشتركت فيه جاليات واتربري وتورنتي وونستد كنتكتك وسبرنقيلو ومانشستر وتسفيلد وادمس ونورث ادمس ماس وبوكبسي نيويورك واطوى كندا ، وكلهم يقدمون التعازي القلبية والمؤاساة الحارة لارملته الثاكلة السيدة زاهية ولانجاله ادي ومارشل وانيس ولابن شقيقه فريد ولاخوته رشيد وتوفيق ومخايل وجورج وفريد وعائلاتهم .

وقد صلي على الجثمان في كنيسة القديسين بطرس وبولس ، وكان في عداد المؤمنين سيادة المونسنيور ديمتريوس حاطوم راعي الطائفة الملكية في دنبري كنتكتك الذي تربطه بالاسرة روابط نسب وصدقة وثيقة . فقد رثاه بكلمات مؤثرة جداً ، مبيناً الحسارة الجسيمة بفقده ومشيداً بمناقب الراحل الغالي وخلالها الطيبة وغيرته على مصالح الجالية ، والمركز المرموق الذي يحتله بين ابناء قومه وفي الاوساط الاميركية عامة .

فاننا نكرر التعازي لارملته الفاضلة ولانجاله واخوته الاكارم في واتربري وفي اطوى كندا ، وكذلك لحضرة شقيقه الشيخ الجليل يوسف منصور الحداد وعائلته ، الذي عاد الى لبنان بعد هجرة كانت مكلفة بالنجاح والاحدوثة الطيبة والسمة العطرة ، سائلين الحي الباقي سبحانه ان يلهم جميعاً الصبر الجليل ، وان يسقي ضريح الفقيده الغالي بغيث الرحمة والرضوان ، وان يعيضا عن فقده بسلامة الاسرة الكريمة .

التجربة أكبر برهان



الكونتوار الزراعي للشرق

فؤاد سعاده وشركاه - بيروت
ام وكهلم في الجزائر

Chateau Musar



موزار نبذة فاخر

جادة الافرنسيين ، ١٢٨ - الهاتف ٣٢١١١ - بيروت

للصق

الحزام الارضى
الحزام الاربى
الحزام الزى رطبون
اصدق الاركتشافات

مع كافة انواع الحزامات والشراى الطبة الولى

فى وكالة الاختصاصى الحنبل

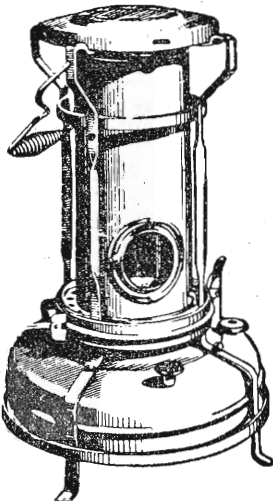
جوزف حنين

مىروت - بناىء جالكه نالى
ساعة الدرابى لفرى ٢٢٢
معانىات وعلماىات وجرابىء سمانىة



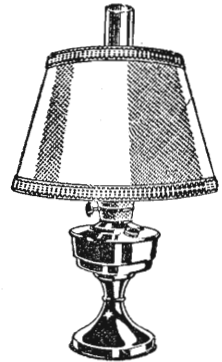
Aladdin
REGISTERED TRADE MARK

النار لمن يريد النار
والنور لمن يريد النور



فدبل ومرفاة
علاء الدين

بدون حقن ولا رائحة
جربوها تآكدوا



وارد
اميل باز النار والنور
طريق الشام - مىروت



نظارات
الحكيم
الطبية
بيروت - البرج
تلفون: ٢٨٢٩٥

HAKIM MEDICAL EYE GLASSES

PLACE DES CANONS - TÉL. 28295 - BEIRUT

LAP

دار التصوير الفني
Studio d'art
انطوان دقوني
بنية استقان ، شارع رياض الصلح ، قرب باب ادريس
بيروت - تلفون ٢٩٢٩٠

Antoine
DAKOUNY

تصوير فني
حفلات زواج

تصوير للهواة
فساتين للاعراس

بنك سوريا ولبنان

شركة مغفلة

رأسمالها ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك

مركزها الرئيسي: ١٢ شارع روكيين، باريس المقاطعة الثامنة

سوريا

المركز الاداري: دمشق

شارع الحجاز ص. ب. رقم ١

السجل التجاري في دمشق رقم ٦

الفروع:

حلب دمشق دير الزور درعا حماه
حسبه حص ادلب قامشلية اللاذقية
الرقه سويدا طرطوس

لبنان

المركز الاداري: بيروت

شارع النبي ص. ب. ٧٥

السجل التجاري في بيروت رقم ٨٨

الفروع:

بيروت: فرع مركزي
بيروت: فرع الامير بشير
بعلبك صيدا طرابلس صور زحلة



كرم عون

١٨٩٢

فرش للآباء والاجداد

كرم عون

يفرش اليوم للابناء والاحفاد

شارع سعيد عقل - بيروت

المحتويات

صفحة		
٨١	الاب بطرس حداد الخلصي	الزواج وشببية العصر
٩٤	الاب يوسف داغر الخلصي	المجوس تباع زراوسترا
١٠١	المنسيور جوزيف كردين	التشريع الاجتماعي في لبنان
١١٠	الدكتور يوسف اسعد داغر	حول الشمس وامرتها والفضاء وريادته
١١٦	الاب الياس كويتي الخلصي	فرنسا بين ماضيها وحاضرها
١٣	الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني	من تراث العرب الخالد
١٣٣	الآنسة سعاد حنا الهاشم	اغاني الرياح
١٣٥	الاب عادل ايليا الخلصي	عيد الميلاد في بلاد الدولار
١٤١	الاستاذ لحد خاطر	قصة البرابرة على لسان فلاح
١٤٩	الاب بطرس حداد الخلصي	ثمانية ايام في الاردن
١٦٠	ا. سكاف	لبنانيات
١٦٩		صور عن مجتمعا : المرحومة جوزفين الحاج شاهين
١٧١		المرحوم حنا منصور الحداد

Nouvelles Lunettes

NYLOR

à cerclage nylon invisible



Agent Général :

OPTICIEN
Garbis

IMM. LAZARIEH
BEYROUTH

○

TÉL. 25972 - B. P. 1767